

آب ١٩٧٢ ـ السنة الثالثة ـ العدد ٣

في هذا العدد

قصة

نجيب محفوظ

« تحقيق »

الشرق

آب ١٩٧٢
السنة الثالثة ، العدد ٣
مجلة شهرية تعنى بشؤون الادب والفكر والفن
تصدر عن صحيفة «الانباء»

مدير التحرير والادارة : **محمود عباسي**
رئيس التحرير : **زكي درويش**
سكرتير التحرير : **انطون شماس**

الادارة : القدس ، شارع هاركما رقم ٧ (ت ٥٢٧٢٣٣)
للمراسلات : ص٠ب ـ ٤٢٨ ، القدس ٠
الاشتراك السنوي : ١٠ ل٠ا٠ ـ لنصف سنة : ٦ ل٠ا٠
الثمن : ليرة اسرائيلية
مطبعة «دوكمة» م٠ض ، القدس ، ت ٥٣١٩٢٩

"A-SHARQ"
THE EAST
A Monthly Magazine for Literature & Art
Published by (AL ANBA)
P.O.B. 428 Jerusalem Tel 527233

„א-שרק"
המזרח
ירחון לעניני ספרות, הגות ואמנות
יוצא לאור ע״י עתון „אל־אנבא"
ת.ד. 428 — ירושלים טל. 527233



شعر

مسرح

مقالة ونقد

قصة

٨ قصـــائـــد
للشاعرة الايطالية لينا أنجوليتي

اهداء الى فاوستا وساندرا

هذا الصمت المتعدد الوجوه يظفر الخريف بين السماء والبحيرة

برحيق كثيف ، حيث يمضي متمهلا في الحديقة الدائمة الخضرة

وفي اعماق الارض تسري رعشة الايام التي ستصبح همسا في مدى الدروب الواضحة ، بكبرياء وفخار ٠٠

رسالة الى باولو صديق سيرجيو

الامواج التي يكدرها الخريف مائلة للجميع
وما كنت لاكرر العهد
لو لم يكن صراخي الملتهب وحيدا
في وجه العاصفة
ولكنك بالامس كنت تسير الى جانبي
وكان حديثنا عنه ،
عن ذلك الذي سيعود يوما بيدين ممتلئتين ٠
وكانت قوتك في الزمن الاجوف تجمع حياته الممكنة ٠
عبر الافق غير المنظور كانت تمر
السفينة التي لا تحتمل النقاش ، بينما نحن ، بغرور
على الضفة المشكوك فيها ، وفي نار الشمس ، نعالج
نور اعيننا ٠

رسالة الى فيكو

هذا المتحدر على حدود الارض يتعذب
والموجة لا تمسك بزهرة القرنبيط
ولا الغفران بنور العيد ٠
من دون امل أقيس الالفاظ بالمتر
والرياح القاسية تمزق أشجار الصنوبر والسنديان
والبحر يغرق الجذور
في مقابره المنهوكة ٠
من اخر الحدود أبحث عنك في طوفان غياباتك
دليلا على حرارة هذه اللامبالاة الحالمة
لكن على الجدار الابيض
يتلاشى نور عيني ٠

مقطع

سيوف شرقية ، واختام فضة في ايد بعيدة ،
وورود الحديقة المائلة نحو المغيب ، والسيدة
الخفيفة الثابتة على الازرق
الذي لا حاجة الى نظرته ذات الاعمدة الستة عشر ٠٠
ولكن على ورود حديقتي لن يولد القمر
حرا ٠ ومن هو الذي تبلغ به البلاهة ان يروي لليافعين
حكاية الشاعر البريء الجائرة ؟
تحت الارض تختمر حكمتي ، ومن دون حراك ،
بذراعيها المفتوحتين
توجد المعرفة التي طالما سعيت اليها ولم ابلغها قط ٠

اهداء الى ثلاثة أيتام

اليوم يوم عيد ، والاعلام ترفرف في
الهواء ، وكذلك السخرية الصارخة
من يوم عظيم منسي ٠
ثلاثة اطفال في ثياب جديدة ، هذه الكلمة التي لا تعرف الندم ٠

وعلى طول الطريق ، موتى الصيف الثلاثة الجدد ،
ترمش اهدابهم لكي يجعلونا ندرك أن ٠٠
البراءة وسهولة الصلة بين
الزمن والساعة تحتويان معنى الاصل ٠
لست اعرف تاريخ اي منهما
نظرتك السوداء والبيضاء التي يبهرني حزنها ،
والتي تتألف من الدم والصلاة ٠
ثلاثة ايتام يسيرون الى جانب ذراعي
في شارع الاشجار العريض ، وعلى ورود شفاههم
الكلمة الممنوعة ٠

حديقة الموتى

أنوار حضور الاخرين
تمزق الصمت المتوتر في المنزل
حيث يرسم الموت الثقيل
خطوط منفعة الاشياء التي يدور حولها النقاش ، والعادة المجنونة ،

وما يزال ينتظر ان تختم حياة في هذا المكان المفروش بالاقاح
انه يوم الموتى ،
وبينما اقدم دمي للامل
تمزق الريح البذور من حضنها البعيد
لتعيد ترتيب حديقة الموتى .

الدعوة

تعال أعطني يدك
ثقيل هو المرتقى
ولكننا من بعده ستبقى وحدنا
تحت السماء الصافية ،
وسنقود بالايدي
العصافير في طيرانها
والضفادع الى المستنقع ،
والصراصير في مدى العوالم المعشبة ،
وسنشرب عبير الارض
وبرق السماء .

هدية صغيرة الى مارينا

اريج شباب فاغم
والغرفة نظيفة كأنها محارة مفرغة
والوجه الصغير الغض والابله
والموسيقى والروح الذائبة
في الوان بيضاء وذهبية
على الجدار الابيض ،
والبحر منبسط امامي في جلال .
وتصمت العصافير
في الاصيل .

[تعريب : عيسى الناعوري]
– عن الاداب –

شفيق حبيب

درب الآلام

بالامس تساقينا الاحلام
وغفونا في ظل الاتي
خمري ما كان سوى الاوهام
غابت في اللجة مرساتي
في نفسي خر ، وبات ركام
تمثال الله على ذاتي
الواح صلاتي بعض رغام
يقتلني هذيان عظاتي
ماذا لو اغدو جمر ضرام
لحرقت شفاهي وصلاتي
يا شعري انت اليوم حطام
ابياتي ليست أبياتي
فلساني في حلقي اورام
ماتت في عمقي كلماتي
الامي مزرعة الآلام
أوهامي تغلو مأساتي
وعلى عيني يشد حزام
فأرى في الظلماء رفاتي
آه لو اغدو حد حسام
لبترت الدرب الى الاتي

ميشيل حداد/ **تطلعات مصرية**

لبيقى الصدى لسقوطي
على المستوى الحائر
عباءة جدي وعكازته
سارسم في خاطري

واخطو بافراح قلبي
على الارض امرح الهو
الاحق بالعطر
لكني اخيرا
ساعبر جسري
عبورا عميقا
فتبلعني التربة الباهته
لكم عفتها حين كنت طليقا

وابقى اقتر كي امتلك
حجارة بيت ومالا
يشير الى الرقم عرضا وطولا
فافرح وقتا قصيرا
واحمل هما كبيرا
وجيبي يضيق
ولا يمتلي
بغير الرطوبة

وانقص بالسنوات
تضاف لعمري
تزاد على اسهمي
فكيف تكون رصيدا
لدفتر بنك
سيوسم يوما بختم

ويكبر جسمي
وينهار حتما
احملق في سنواتي الهزيلة
وبعد فاني اصير
الى منغلق
يسد الطرق
فياليت اني اظل
نسيمـــــا
وياليت اني اظل
على عالمي
وياليت اني اظل
واشيائي الباقية
على موعد دائم

سعيد زيداني/ **إطارات وصور**

افتحي ذراعيك ، ضميني
كما يضم صدر البحر صدر الشمس •
دعيني اعتق شفتيك بانغام ايماني ،
فصورة الله قد هبطت من الاطار •
وصورة ما حزمناه في حقائب القرون
غادرت الاطار مهزومة •
ظل الاطار بلا صورة !

والبرد ثقيل في الخارج •
الثلج يجمد الجثث الجاثمة في الخارج •
لم يبق للدفء اوتار يشدها
الا على شفتيك اللتين خلفهما
بحر هائج لفعوه في ملاءة صمت •

لا تخافي !
رعشة وترتخي الاعصاب •
تعود بعدها للاطار صورة الاله الاخر •
لا تفزعي !
لحظة تمر كزوبعة ،
بعدها تهبط صورة الموت المريع من الاطار •

افتحي ذراعيك ، ضميني
كما يضم صدر البحر صدر الشمس •
لتقرع اجراس الكنائس ،
مبشرة بالسقوط السعيد !

علي خليل حمد/ **موجودات صغيرة**

حفنتان :

كان يحبني
منذ عرفت شعره الابيض في الستين
وكم حلمت ان اصافحه
فكل مرة
رأيت راحتيه الاثنتين
مطبقتين
وذات يوم قال لي : تعال
فتاخذ الهدية التي
دفعها ابي الي قبل ان ...
ـ كان يحبني ـ
وكم وجدت قلبي حين :
فتح راحتيه
مقدما لي : حفنة من طين
وحفنة من طين !

زوجة منسية :

تركتني
عشرين حولا كاملا
وعندما
همى حزيران بروقا ومشاعلا
واقفلت «سدوم» من دونك كل باب
وسرت ذاهلا
ذكرتني
وعند سفح تلة وجدتني
خضراء
حافلة بالزيت مثلما تركتني !

قطرات بسيطة :

بها حلمت مرة
في الكتب العتيقة
ومرة
في غربة «النوى»
وعدت «هندباد»
احمل خوخا ناعما
ولي مرارة «النوى» وذكريات ..
مركب غريقه
وامس .. والمساء
تهجع في ظنونه
«نوى» بلا انتهاء
رايت في عينين
شاردتين
كل الذي نشدت من حقيقه !

انطون شماس/ **قصيدتان**

لحظة للحب ولحظة للبكاء

لو أسقط مرة كما
ترتفع فتاة في كوب جعة .
الامس الهواء ورطوبة الفراغ والندى .
فوق المياه أمشي ، ترفرف يداي فوق الغمر .

لو ارتفع مرة كما
تسقط الرمال في الساعة .
كسهم صياد مائي . للحظتين .

زهور حمراء على الوسادة

حاولت على الشريط الابيض الرابع
ان اتذكر امرأة عارية
تشعل سيجارة في الظلام . حائرا
وقفت للحظة حيالها ، كل يهم
باخذ اتجاه الاخر . سقط الاعتذار
بددا على الاسفلت اللزج . مشدوها
وقف الرجل الاخضر في شارة المرور ، وارتفعت
كنا موسية السرير فوقنا الصيحات .

امرأة أشعلت تهليلة في الظلام .

صموئيل بيكت

في انتظار غودو (٥)

تعريب : نواف عبد حسن

تراجيكوميديا في فصلين

الاشخاص : استراجون ، فلاديمير ، لكي ، بودزو ، غلام

(بودزو يأخذ السلة والكيس ويقربهما من لكي) امسكاه جيدا (يناول الكيس الى لكي ، لكي يقذف به حالا) لا تتركاه (يحاول مرة ثانية رويدا رويدا ، لكي يصحو من غيبوبته ويده مثبتة على اذن الكيس) امسكاه جيدا (يكرر نفس العملية مع السلة) بامكانكما أن تتركاه (فلاديمير واستراجون يبتعدان عن لكي ـ لكي يتأرجح، يكاد أن يهوى، ولكنه رغم ذلك يصمد والرزم بيده ، بودزو يخطو الى الوراء يفرقع بالسوط) الى الامام ! (لكي يتقدم) الى الوراء ! (لكي يخطو خطوة الى الوراء) در ! (لكي يدور) فعل هذا ـ بامكانه أن يمشي (يتجه الى فلاديمير واستراجون) شكرا لكما يا سيدي، واسمحا لي (يفتش في جيبه) اسمحا لي ان اتمنى لكما ... (يفتش في جيوبه) أن أتمنى لكما ـ ماذا فعلت بساعتي ؟ (يواصل البحث) مع غطاء ذهبي حقيقي ، يا سيدي ، مع زنبرك (يتنهد) اعطاني اياها جدي (يستمر في البحث يحدق في الارض ، فلاديمير واستراجون يحذوان حذوه ، بودزو يقلب بقدمه قبعة لكي) الان في الحقيقة ، اليس هذا .

فلاديمير : ربما هي معك في الداخل .

بودزو : انتظر ! (ينحني بكل جهد ليدني اذنه من كرشه ، يصغي ، يصمت) لا اسمع شيئا (يشير اليهما ان يقتربا، فلاديمير واستراجون يقتربان اليه، ويدنيان اذنيهما من كرشه) . ينبغي سماع طق ـ طق .

فلاديمير : سكوت ! (جميعهم يصغون مشدودين)

استراجون : أنا اسمع بعض الشيء .

بودزو : أين ؟

فلاديمير : هنا القلب !

بودزو : (يائسا) الى الجحيم .

فلاديمير : سكوت !

استراجون : ربما توقف (ينتصبان)

بودزو : من منكما كريه الرائحة ؟

استراجون : عنده الفم وعندي الارجل .

بودزو : علي أن أذهب .

استراجون : وساعتك ؟

بودزو : تركتها على ما يبدو في جرابها (صمت) .

استراجون : ولذلك أديو .

بودزو : أديو .

فلاديمير : أديو .

استراجون : أديو (صمت ، لم يتحرك أحد) .

فلاديمير : أديو .

بودزو : أديو .

استراجون : أديو .

بودزو : شكرا لك .

فلاديمير : لا شكرا على واجب .

استراجون : نعم نعم .

بودزو : لا لا .

فلاديمير : نعم نعم .

استراجون : لا لا (صمت) .

بودزو : كانني لست مستعدا ... (يتردد) أن أغادر .

استراجون : هكذا هي سنة الحياة .

بودزو يستدير ، يبتعد عن لكي ، وهو يقلب الحبل كلما نأى .

فلاديمير : انت ذاهب باتجاه غير صحيح .

بودزو : يلزمني مسافة للقفز ، أولا (عند وصول

الحبل الى نهايته يكون بودزو خارج المنصة ، يتوقف ويصرخ من هناك) ابتعدا (فلاديمير واستراجون يبتعدان الى الزوايا ينظران باتجاه بودزو ، فرقعة سوط) الى الامام ! الى الامام ! الى الامام !

استراجون : الى الامام ! الى الامام !

فلاديمير : الى الامام ! الى الامام !

فرقعة سوط ، لكي يتحرك .

بودزو : اكثر سرعة (يظهر ويقطع المنصة في اعقاب لكي ، فلاديمير واستراجون يخلعان قبعتيهما ويلوحان بأيديهما، لكي يخرج، بودزو يفرقع بالحبل وبالسوط) الى الامام ! الى الامام (قبل أن يختفي ، يستدير ويتجه الى الاثنين ، يمتد الحبل ، ضجة وقوع لكي) كرسي ! (فلاديمير يرفع الكرسي ، ويعطيه لبودزو) اديو !

فلاديمير واستراجون : (معا يرفعان ايديهما) اديو اديو .

بودزو : قم ايها الخنزير (صوت لكي يرتفع) الى الامام (بودزو يخرج ، فرقعة سوط) اكثر سرعة ! الى الامام ! اديو ! خنزير ! ييف ! خنزير ! اديو ...

(فترة صمت طويلة)

فلاديمير : لم نشعر بمرور الوقت .

استراجون : على كل حال كان سيمر (صمت)

فلاديمير : نعم لكن ليس سريعا .

(فترة صمت)

استراجون : ماذا نفعل الان ؟

فلاديمير : لا أعرف .

استراجون : هيا نذهب .

فلاديمير : لا نستطيع .

استراجون : لماذا ؟

فلاديمير : بانتظار غودو .

استراجون : صحيح .

فلاديمير : كيف تبدلا !

استراجون : من ؟

فلاديمير : هذان الاثنان .

استراجون : هذه فكرة ، هيا بنا نجري نقاشا قصيرا .

فلاديمير : الا تظن ؟

استراجون : ماذا ؟

فلاديمير : بانهما تبدلا .

استراجون : محتمل جدا ، جميعهم تبدلوا باستثنائنا .

فلاديمير : محتمل ! هذا مؤكد ، الم ترهما .

استراجون : أظن انني رايتهما ، ولكن لم اعرفهما.

فلاديمير : نعم انك تعرفهما .

استراجون : أنا اعرفهما .

فلاديمير : نحن نعرفهما ، أقول لك انت تنسى كل شيء (فترة صمت ، الى نفسه) ولكن اذا كان كذلك ، فليسا اياهما ...

استراجون : اذا كان كذلك ، لماذا لم يعرفانا ؟

فلاديمير : هذا لا يدل على شيء ، وانا تظاهرت بعدم معرفتهما ، وعدا عن ذلك لا يعرفنا أحد .

استراجون : انتسى هذا ، كل ما تحتاج – أو – (فلاديمير لا يجيب) هو او !

فلاديمير : (الى نفسه) اذن ليسا اياهما ...

استراجون : ديدي ، الان هذه الساق الثانية (يسير هنا وهناك) .

الغلام : (من الخارج) سيدي ، (استراجون يجمد ، كلاهما ينظران الى مصدر الصوت)

استراجون : يعود مرة ثانية .

فلاديمير : اقترب يا بني .

(يدخل الغلام يتردد)

الغلام : سيد البرت .

فلاديمير : هذا انا

استراجون : ما شأنك ؟

فلاديمير : اقترب (الغلام لا يتحرك)

استراجون : اقترب كما تؤمر ، الا تقترب

(الغلام يقترب بحذر)

فلاديمير : ما الامر

الغلام : سيد غودو ...

فلاديمير : بديهي ... (فترة صمت) اقترب (الغلام لا يتحرك) .

استراجون : (بغضب) هل لك ان تقترب (يقترب الغلام بتردد ، يتوقف) لماذا تأخرت الى هذا الحد ؟

فلاديمير : اتحمل بلاغا من السيد غودو .

الغلام : نعم يا سيدي .

فلاديمير : اذن ما مضمونه ؟

استراجون : لماذا تأخرت الى هذا الحد ؟ (الغلام ينقل بصره من واحد لآخر ولا يعرف من يجيب أولا) .

فلاديمير : (لاستراجون) دعه

استراجون : دعه انت (يدنو من الغلام) هل تعرف ما الوقت الآن ؟

الغلام : هذا ليس ذنبي .

استراجون : ذنب من ؟ ذنبي ؟

الغلام : انا خشيت يا سيدي .

استراجون : ممن خشيت ؟ منا ، اجبني !

فلاديمير : انا أعرف ممن ، لقد خاف من أولئك .

استراجون : كم مضى على وجودك هنا ؟

الغلام : بعض من الوقت يا سيدي .

فلاديمير : خشيت السوط ؟

الغلام : نعم يا سيدي .

فلاديمير : الفرقعات ؟

الغلام : نعم يا سيدي .

فلاديمير : كلا السيدين ؟

الغلام : نعم يا سيدي .

فلاديمير : انت تعرفهما ؟

الغلام : لا يا سيدي .

فلاديمير : هل ولدت في هذه المنطقة ؟ (صمت) هل انت منتم لهذه المنطقة ؟

الغلام : نعم يا سيدي .

استراجون : هذه مجموعة من الاكاذيب (يهز الغلام من ذراعه) حدثنا الحقيقة .

الغلام : ولكن هذه هي الحقيقة يا سيدي .

فلاديمير : هلا تركته ، ماذا جرى لك ؟ (استراجون يدع الغلام ، وينأى جانبا ، يغطي وجهه بيديه ، فلاديمير والغلام يرنوان اليه ، استراجون ينزل يديه، وجهه مكفهر) ماذا جرى لك ؟

استراجون : لست سعيدا .

فلاديمير : لا يحتمل ! منذ متى ؟

استراجون : نسيت .

فلاديمير : كم هي غريبة ذاكرتك (استراجون يحاول التحدث ، يعدل عن الكلام ، يعود الى مكانه ، ويشرع بخلع حذاءه ، فلاديمير الى الغلام) واذن ؟

الغلام : سيد غودو .

فلاديمير : لقد صدفتك مرة ، اليس كذلك ؟

الغلام : لا ادري يا سيدي .

فلاديمير : الا تعرفني ؟

الغلام : كلا ، يا سيدي .

فلاديمير : الم تكن انت الذي جاء بالامس ؟

الغلام : لا يا سيدي .

فلاديمير : هذه المرة الاولى ، بالنسبة لك ؟

الغلام : نعم يا سيدي .

فلاديمير : كلام ، كلام ، (صمت) تحدث .

الغلام : سيد غودو قال لي : ان اخبركما بانه لن يحضر هذا المساء ولكنه سوف يأتي غدا حتما (صمت) .

فلاديمير : وهذا كل ما لديك ؟

الغلام : نعم يا سيدي .

فلاديمير : انت تشتغل عند السيد غودو ؟

الغلام : نعم يا سيدي .

فلاديمير : ماذا تفعل ؟

الغلام : ارعى الغنم يا سيدي ٠

فلاديمير : هل يحسن معاملتك ؟

الغلام : نعم يا سيدي ٠

فلاديمير : ألا يضربك ؟

الغلام : لا يا سيدي ، لا يضربني ٠

فلاديمير : يضرب من ؟

الغلام : يضرب أخي يا سيدي ٠

فلاديمير : ها ٠٠ الك أخ ؟

الغلام : نعم يا سيدي ٠

فلاديمير : ماذا يفعل ؟

الغلام : يرعى الضأن يا سيدي ٠

فلاديمير : ولماذا لا يضربك ؟

الغلام : لا أدري يا سيدي ٠

فلاديمير : انه يحبك بالطبع ٠

الغلام : لا أعلم يا سيدي ٠

فلاديمير : ايقدم لك ما يكفيك من الطعام ؟ (الغلام يتردد) هل يطعمك جيدا ؟

الغلام : حسنا جدا يا سيدي ٠

فلاديمير : الست تعيسـا ؟ (الغـلام يتردد) هـل تسمعني ؟

الغلام : نعم سيدي ٠

فلاديمير : اذن ؟

الغلام : لا أدري سيدي ٠

فلاديمير : انت لا تدري ان كنت سعيدا أم لا ؟

الغلام : كلا يا سيدي ٠

فلاديمير : انت بالضبط (فترة صمت) اين تنام ؟

الغلام : على السطح ، سيدي ٠

فلاديمير : مع أخيك ؟

الغلام : نعم يا سيدي ٠

فلاديمير : على القش ؟

الغلام : نعم يا سيدي (صمت) ٠

فلاديمير : طيب ، بامكانك أن تنصرف ٠

الغلام : ماذا علي أن اقول للسيد غودو يا سيدي ؟

فلاديمير : قل له ٠٠٠ (يتردد) قل له بانك رأيتنا (فترة صمت) رأيتنا اليس كذلك ؟

الغلام : نعم ، سيدي (يستدير الى الوراء ، يتردد، ثم يخرج مسرعا)

(يخفت الضوء بسرعة ، كلمح البصر ، يهبط الليل، يظهر القمر من الخلف ، يتسلق السماء ، يتوقف ، يضفي ضوءا شاحبا على المنظر) ٠

فلاديمير : واخيرا ! (استراجون يدنو من فلاديمير، وفي كل يد خفـا يضعهـا في طرف المنصة ، ينتصب وينظر الى القمر) ماذا تفعل ؟

استراجون : افعل مثلك انظر للقمر ٠

فلاديمير : قصدت أن أقول ـ مع حذائك ٠

استراجون : (يرنو الى حذاءه) اتركه هنا (فترة صمت) سيأتي آخر بالضبط ٠٠٠ بالضبط مثلي ، ولكن قدميه أصغر ، ويجعله الحذاء سعيدا ٠

فلاديمير : لكنك لا تستطيع المشي حافيا ٠

استراجون : المسيح كان يستطيع ٠

فلاديمير : المسيح ! ما علاقة هذا بالمسيح ؟ تقرن نفسك بالمسيح ؟

استراجون : طول عمري اقرن نفسي به ٠

فلاديمير : لكنه عاش في بلد دافيء ، وجاف ٠

استراجون : نعم ، وكانوا يصلبون فيه بسرعة ٠

فلاديمير : ليس ثمة ما نفعله هنا ٠

استراجون : ولا في أي مكان ٠

فلاديمير : ها ، جوجو ، لا تستمر في كل ذلك على هذا النحو ، غدا يتحسن الموقف ٠

استراجون : كيف يكون ذلك ؟

فلاديمير : ألم تسمع ما قاله الغلام ؟

استراجون : كلا ٠

فلاديمير : لقـد قال بان غـودو سوف يأتي غـدا (صمت) ما تقول الان ؟

استراجون : اذن ، نستمر في الانتظار هنا ·

فلاديمير : انت مجنون ؟ علينا ان نختبيء (يجذب استراجون من ذراعه) تعال (يجذب استراجون وراءه، استراجون يستجيب له ثم يبدي معارضة ، ويتوقفان)

استراجون : (يتأمل الشجرة) لسوء الحظ ، لا توجد قطعة حبل ·

فلاديمير : تعال ، يشتد البرد (يجذبه خلفه)

استراجون : ذكرني ، لاحضر قطعة حبل غدا ·

فلاديمير : نعم ، نعم ، تعال (يجذبه)

استراجون : كم من الوقت مكثنا هنا ؟

فلاديمير : لا أدري ، ربما خمسين سنة ·

استراجون : اتذكر اليوم الذي القيت نفسي في نهر الرون ؟

فلاديمير : عملنا في قطف العنب ·

استراجون : انقذتني من الغرق ·

فلاديمير : الكل اندثر وعفى عليه الزمن ·

استراجون : جفت ملابسي تحت الشمس ·

فلاديمير : لا جدوى من العودة ، والانشغال بذلك· تعال (يجذبه) ·

استراجون : انتظر ·

فلاديمير : بارد ·

استراجون : انتظر (يبتعد عن فلاديمير) اسأل نفسي : الم يكن من الافضل لو بقينا منفردين ، كل واحد وشأنه (يقطع المنصه، ويتخذ مكانه فوق الربوه) لم نخلق لنفس الطريق ·

فلاديمير : (بدون غضب) هذا ليس أكيدا ·

استراجون : كلا ، ليس ثمة شيء مؤكد (فلاديمير يقطع المنصه ، على مهل ، ويجلس بجانب استراجون)

فلاديمير : بامكاننا ان نفترق ، ان كنت تظن ان ذلك افضل ·

استراجون : لقد فات الاوان (صمت) ·

فلاديمير : نعم ، لقد فات الاوان ·

استراجون : حسنا ، هلا ذهبنا ؟

فلاديمير : أجل ، دعنا نذهب (لا يتحركان) ·

— ستار —

(انتهى الفصل الاول)

أدمون شحادة

الانتظار

مسرحية

المنظر : سياج حديدي مرتفع تتوسطه بوابة ضخمة، السياج على طول المسرح يقطعه الى جزأين. الجزء الخلفي أصغر من الجزء الامامي وتبدو فيه حديقة غناء واشجار باسقة . في أقصى الحديقة منظر لقصر عصري . الجزء الامامي والذي تجري عليه احداث المسرحية أكبر من الجزء الخلفي ، أرض وعرية تمر بها طريق ترابية ضيقة توصل الى البوابة ، أشواك وحجارة وبعض الاشجار العارية من الاوراق . شاب ضخم أشعث الشعر ثيابه رثة ويبدو عليه الذهول ، الشاب يجلس على حجر كبير ويتسلى برمي الحصى على جذع احدى الاشجار. الوقت صباحا .

يدخل رجل نحيف متأنق وهو يفتش بعينيه ارجاء المسرح ، يبدو على الرجل التعب ، ينتبه الى الشاب ويتجه نحوه .

الرجل : (باستغراب) أنت هنا ؟

الشاب : (ينظر الى الاشجار العارية) الشجر هنا بلا أوراق .

الرجل : (بصوت عال) منذ متى وأنت هنا ؟

الشاب : (ينظر الى الحديقة داخل السياج) أنظر هناك ... الاشجار ممتلئة بالاوراق . انظر ما احلى الزهور في الحديقة .

الرجل : لقد قلبت ارجاء المعمورة بحثا عنك .

الشاب : انظر ما أجمل الاثمار . كيف تتدلى على الاغصان ، بكبرياء ودلال .

الرجل : لم اتصور أنك ستاتي الى هنا .

الشاب : (يرفع رأسه نحو السماء) السماء هنا متلبدة بالغيوم .. .. أما في الداخل فربيع دائم .

الرجل : ألم تعدني بانك لن تعود الى هنا .

الشاب : سينزل المطر بغزارة .

الرجل : قل لي ما تصنع هنا ؟ ولم عدت ؟

الشاب : الشجر هنا لا يكتسي بالاوراق ، مهما كانت كثرة الامطار... ما ان تورق الاغصان، حتى يتساقط الورق في اليوم التالي .

الرجل : (بضيق) ما لنا وللاشجار هذه .

الشاب : لقد لاحظت ذلك ، خلال مكوثي هنا .

الرجل : (يمسك الشاب من كتفه ويهزه بعنف) هيا قم معي ولنذهب بسرعة .

الشاب : (يقف ويتكلم بعصبية) سابقى هنا حتى نخرج ، أو تفتح لي الباب وتدعوني اليها .

الرجل : لن تربح شيئا من مكوثك، لانها لن تدعوك ابدا .

الشاب : (يهدأ قليلا) في النهاية .. سأربح في النهاية .

الرجل : ولم من البداية ، حين أخذت الشمس في المقاومة ، لم تعترض على الاتفاق ؟

الشاب : أنا لا أقبل المساومة .

الرجل : ولكن الباب لا يزال مغلقا .

الشاب : سيفتح في الوقت المناسب .

الرجل : وحتى تأتي الساعة ؟

الشاب : سنتقابل على صلابة الهدوء .

الرجل : ستموت جوعا .

الشاب : أنا لا أشبع ... (كأنه يحدث نفسه) لنبحث عن لاشيء (يأخذ في الدوران كأنه يبحث عن شيء معين) .

الرجل : الزمن لا يرحم .

الشاب : (بغضب) والظواهر ، والارتداد.. أيجب أن يبقى الانسان عبدا للزمن ؟

الرجل : مهما تفعل وكيفما تسير ، فانك تاخذ في الشموخ حتى تشيخ .

الشاب : (يضرب الهواء برجله كمن يركل علبة فارغة) عبرت ثلاثة قرون ولم أتغير ·· لم اصغر ولم اكبر ·

الرجل : لانك لم تقاوم ··· واكتفيت بالهدوء ، منتظرا ···

الشاب : (مقاطعا) قد أموت فيخضم الامواج المتلاطمة

الرجل : قد تنجح ويضعون على رأسك اكليلا من الغار ·

الشاب : واذا مت

الرجل : سيعلقون على صدرك النياشين ·

الشاب : ه ·· النياشين (يضحك) أعلقها على صدري متى اريد ودون ان أموت ·

الرجل : هذا تزييف ··· بل هو الواقع الذي تعيش فيه ·

الشاب : هذا الواقع يعيش فيه الجميع ·

الرجل : هذا أحساسك ··· واذا أردت أن تصل فيجب تحديد الاشياء ومناطق البحث ·

الشاب : معكوسة على تبعات الاخرين ·· ومثابرة فوق طاقاتي ·

الرجل : هذا لن يوصلك الى شيء ·

الشاب : كل شيء سيأتي في آوانه ···

الرجل : يجب أن تبدأ حالا

الشاب : عندما أشعر بالانطلاق ··· أو عندما تخرج ·

الرجل : اذا لم تفتش عن الاساليب، ستبقى منتظرا في باحة الصمت والزوال بلا أمل ·

الشاب : ستخرج من هذا الباب ـ ستخرج مرتفعة النهدين عارية الفخدين ، تغطي بجمالها كل الازهار ·

الرجل : (مستهزئا) لماذا لا تحطم القفل وتدخل اليها ·

الشاب : والحراس ؟

الرجل : أين شجاعتك القديمة ·

الشاب : (بغضب) وماذا تريد مني ·

الرجل : أنا ؟ لاشيء ··· ولكنك مهتم بمقابلتها·

الشاب : اني انتظرها منذ الازل ··· ولا بد لها ان تخرج لملاقاتي ·

الرجل : ما رأيك ؟ أدخل وأنا سأتكفل بالحراس ·

الشاب : أخاف أن أجدها في أحضان غيري ·

الرجل : وماذا تريد منها ··· بعد أن ابتعدت كل هذه المدة ·

الشاب : كان عليها أن تبقى نظيفة ·

الرجل : وأنت ؟ أتشبه صفاء الخمر في كأس بلوريه ؟ أم خليط من الشوائب ، عشش على ابواب المواخير وبيوت الساديين ؟

الشاب : لا ادري كم انني أحببت ··· لا ادري كم أغنية غنيت بكل فرح ·

الرجل : أنت ما أحببت أبدا ـ كنت غائصا في الخطايا والمجون ، وغناؤك كان صراخا وعويلا ···

الشاب : وماذا تريد من انسان ضائع ، فقد اباه وأهله وحبيبته ؟

الرجل : وماذا تريد منها ؟

الشاب : هي بقيت في اطار مسيج بالورد والصنوبر تعيش بين الطنافس والذهب ، كأحسن اميرة من الف ليلة ·

الرجل : هذا دليل الحياة، أنظر ما أجمل حديقتها، وتلك الازهار اليانعة ، والاشجار الخضراء تحيط بقصر كله حركة وبهجة ، كله محبة وحياة ·

الشاب : هذا دليل على الاستهتار ·

الرجل : دليل الحياة ، فالحب والحياة لا يفترقان·

الشاب : وهذا السياج الحديدي (يشير الى السياج)

الرجل : لتحمي نفسها من الفضوليين ·

الشاب : لست فضوليا ·· أنا أول من بات معها ·

الرجل : ولكنك تركتها لتبحث عن غيرها ·

الشاب : لقد غرروا بي ··· وبعد ان طفت كل الاقطار ، وتعرفت على جميع انواع الاناث ، لا أجد أجمل ولا أطيب منها ·

الرجل : أتظن انها ستصفح عنك ؟

الشاب : انها تحبني ، تحبني كثيرا لقد قالت لي

ذلك مرارا · لقد نشأنا معا وترعرعنا معا · وذقنا حلو الحياة ومرها ·

الرجل : ومع ذلك تركتها ـ لم تعرف كيف تحتفظ بها ·

الشاب : ها أنذا أعود اليها ··· نادما أشد الندم ··· عاشقا متيما ··· وسأحافظ عليها بكل ما لدي من قوة وعزيمة ·

الرجل : اقفز من فوق هذا السياج ·· وأدخل اليها لعلها تصفح عنك حين تراك ·

الشاب : سيقولون أني لص محترف ·

الرجل : لقد احترفت أمورا كثيرة فلتضف اليها مهنة اللصوصية ·

الشاب : ولكني كنت شريفا دائما ·· فالشرف يجري في عروقي من مائة جد وجد ·

الرجل : اجدادك كانوا شرفاء ·· وكانوا شجعان أيضا ··

الشاب : أنا شجاع (بغضب) ساحطم كل من يقف في طريقي ··· ساهدم كل جدار يعترضني (يهجم على الباب الحديدي ، يهوي عليه بكلتا يديه ، ثم يتراجع متألما ، ويأخذ بالبكاء)

الرجل : (يربت على كتف الشاب) البكاء لا يجدي يا صديقي ·

الشاب : ولكني أنى سرت فالحائط يمتد في وجهي كالثعبان ·

الرجل : لانك من عهد المكفوفين وأنت تمشي في بحر الظلمات ·

الشاب : لقد وعدوني خيرا ·· ولكني ما تعبت أبدا ، وكان الدرب دائما يمتد ويطول ·· يمتد ويطول ·

الرجل : لانك لم تسأل عن اسمك ·· ولم تعرف ما لونك ·

الشاب : أين ؟ (بانفعال) في قائمة الاموات ؟

الرجل : أنت تخاف الموت ·

الشاب : لاني أحب أن أستمتع ·

الرجل : الموت هو باب الحياة ·

الشاب : مهما عشت حتى ولو ثلاثة قرون أخرى ، فسأبقى الاف الاف من السنين في قبري ·

الرجل : (بغضب) أنت ميت في حياتك ·

الشاب : حياتي القادمة أطول ·

الرجل : أنت لا تهتم الا بنفسك·· عليك أن تموت من أجل أن يعيش الاخرون ، أن تتنحى من أجلهم ·

الشاب : (بضيق شديد) لقد ضقت ذرعا بك ، فاذا جئت تبحث عني ··· لم تعد صديقي الذي يهتم بسعادتي ·

الرجل : سعادتك في أن تنزل عن المسرح ، ليصعد عليه وجه جديد ·

الشاب : ووجهي ، أهناك من هو أجمل منه ، أهناك من هو أحق مني بمكاني ·

الرجل : ولكنها لن تأتي اليك أبدا ما دمت لم تحدد مكانك الصحيح ··· وتقوم بعملك على احسن وجه ·

الشاب : وماذا تريدني أن أفعل ·

الرجل : قلت لك تنحى عن غرورك (الشاب يهجم على الرجل ويصفعه على وجهه ·· الرجل يبتعد بحذر)·

الشاب : ساحطم رأسك اذا لم تقف بجانبي ·

الرجل : أتظن أنك باعمالك الصبيانية ستصل اليها ؟·· قد تفقدني أنا ايضا اذا بقيت على عنادك ·

الشاب : قلت لك ستخرج ·

الرجل : أتترك حياة الترف والسعادة ، لتعيش مع انسان بائس مثلك ·

الشاب : (يصرخ) قلت لك ستخرج ·

الرجل : أنت رجل تافه ، لم تقم طوال حياتك بأي عمل سوى الانتظار ·

الشاب : (بغضب) وهل هناك من عرك الحياة وذاق حلوها ومرها اكثر مني ·· ها ·· هل هناك احد ؟

الرجل : كان ذلك يوم كنت معها ·· وبعد ذلك لم تقم الا باعمال صبيانية سخيفة ·

الشاب : اخرس يا وقح والا حطمت ضلوعك ·

الرجل : (مستهزئا) أنت ؟··· يا من لا يجرؤ على

(التتمة على ص ٣٠)

عبد اللطيف عقل

الالتصاق بالوجدان الفردي

[حول ديوان ميشيل حداد الجديد ـ «اقتراب الساعات والاميال»]

مقدمة :

اننا في هذه البقعة من الارض منسيون حتى الفجيعة يسجننا الاخرون داخل دائرة الظل وخارجها متى شاءوا، وفيهم من الاستعمالية ما ينحط بنا الى درجة السلعة التي يحكمها قانون العرض والطلب ، ذاك القانون الذي يفقدها كرامتها ويشوه ماهيتها الذاتية ، اننا نرتب ونصنف تماما كما تفعل بصناديق الفاكهة وتلقى هنا وهناك بترتيب يستنز من خواصرنا البديهة ولما نستعرض وجداناتنا او يستعرض احدنا صاحبه يساء فهمنا ، وتحمل الجمال على غير ظهورها . ونتهم بالمداهنة والنفاق زورا .

ان لشعرائنا تجاربهم ، يعانونها على قدر الطاقة ينفعلون او يفعلون وهم في كل ذلك يحترقون بلظى التعبير ، وان كنا نختلط بالمازوت ونلتصق بالارض فذلك يحدده الاخرون ايضا ولكننا نتلمس الذات عبر عتمة النفق ، وبعد تساقط الاوراق على بلاط الخريف مزهوين بضيقنا ، نحترف الاختناق على النواصي، ونعدم في ساحات المسالخ ولنا من جلودنا سكن وثير ، ومن الزعتر الناشف أدم ومائدة .

أ ـ «اقتراب الساعات والاميال» *

هي المجموعة الثانية للشاعر ميشيل حداد، اصدرتها دار النشر العربي في طبعة فنية على ورق ابيض صقيل مكتوبة بخط الفنان عدنان عكه ، محلاة بغلاف جميل اظن ان مباشرة التعبير فيه اساءت له الى حد ما . وضمنه لوحات داخلية بالحبر الصيني لعدد من الرسامين (نهاد السباسي ـ غزة والرسام موريه ـ باريس ، وعبدالله العمري ومحمود سوقية ـ جنين ، وعدوان ماجد ـ الناصرة) . وكان قد صدر للشاعر عن نفس الدار مجموعته الاولى وهي بعنوان **«الدرج المؤدي الى اغوارنا»**

وتعلن دار مجلة الشرق انها ستصدر قريبا المجموعة الثالثة للشاعر بعنوان **«الف ليلة عصرية»** .

ب ـ تقع المجموعة في ثلاثة ابواب :

١ـ أحمال المرده :

ثماني قصائد تعاني الحياة واحتمال المصير ، وهي مكابرة الانسان المارد وهو يحتمل ويعاني .

٢ـ غربة الكلمات المداهنة :

ولعل عنوانها فيه ما يناقض مضمونها ، انالمداهنة الاجتماعية في مثل مجتمعنا ليست غريبة، كما ارى ويرى الملاحظ بل العكس هو الصحيح ، الا اذا تعمقنا البرهان بالخلف .

٣ـ أغاني الاحلام المنهارة :

وهي قصائد وجدانية تغازل حبا تعتق كالخمرة وما زال يحتفظ بشبابه ـ أو هكذا يظن ـ رغم طول الحبس والانطواء ، وخرج بعد ان اقتربت الاميال واسرعت الساعات كاسفا حزينا حينا ، حادا مغامرا في اكثر الاحيان .

ج ـ ساتحدث عن المجموعة اخذا بعين الاعتبار ان موسيقية القصائد وهي هنا تلتزم التفعيله ـ كما رايتها مهزوزة هنا وهناك ، ولا أعني انني اركز على الغنائيه ولكن ما دام الشاعر نفسه ارتضى ان تكون الرتابة الشكلية احدى عكازاته ، فعلي ان افحص العصا، هل تحتمل الجسد الذي يتوكأ عليها ام انها تضعف في يده .

لقد لمست مضمونا عصريا حديثا اندفق اولا وكان مندفعا بتلقائية وطبيعية، لكن الشاعر قام باعادة تدخلت

* اقتراب الساعات والاميال ، ميشيل حداد (دار النشر العربي ، تل ابيب ١٩٧٢) .

فيها عناصر فالبست المضمون هذا قوالب التفعيلة التي تصرف بتركيبها في عدة مواضع ٠

د ـ القصائد : ١ ـ احمال المردة :

ظلال المسير : لحظة الانسان المعاصر بحدين كلاهما حاد، فحين تضيق السبيل ويضن المنزلق بالرطوبة يكون تغير الشاعر مراحا ، وحين يتسع المسير له يتمدد الظل حتى الانتفاخ ويصبح المذاق تافها ، اما الخلاص فهـو لدى الشاعرواقع وفن، وخشية الضياع تبرر ان تزحزح مكانا بين اقدام الاخرين ونبلل الطريق بالماء وتنزلق ٠ اي حمل ثقيل لمارد يريد ان يطل كالمردة ولكنه فـي مسيرته يتحاشى احيانا مخاطر الطريق ، بصبر وبكرامة٠

الله : لحظة ميتا فيزيقية ، انه ابرز الصوى في الرمال الحمراء المترامية في التقاء سلس املس مع الافق ٠ انه فوق الضوء يعانق بجماله الفراشات تمارسه في قبل الشفاه ، ويتمدد فينا لحظات المرض والتعب اكثر ، فيكون فيه الخلاص وينسل الى الورق عبر اليراع وحين دفنه الاخرون رفض الشاعر النعي وظل على البشرف الشرقي ينظف طرق الاطفال من قشور السام ٠

على انبلاج الطرق : كيف تندفق لحظة الخلق الفني خلال سجف سميكة من الالم، اي اوجاع تلك التي تبرزها هذه اللحظات النوادر ، ولست اشك ان الالم الحقيقي هو افدح حمل تعاني وطأته المردة ٠

صراخ ملء الاجفان : التمزق خلال التمرد ، والتفكك عبر الرفض ، والاستغاثة التي تدرك ضياعها ، لانها تعرف انها تنبش في اللاشيء من اجل الخلاص ، تلك ملحمة الالم الواعي في المجموعة ، والحضارة كتعقيـد مادي لم تغير شيئا وتظل الديدان (الموت) تنتظر لحـم وعظم هذا الجسد ٠ (والاختناق) قصيدة اقصر من ان تتحمل انها تعاني الموت من خلال فتحتي الانف (التنفس) وهذه القطعة تذكرني بقصيدة للشاعر منشوره بعنوان (نمل صنع له اجنحة) والتي لا تقول عن الموت شيئا ، ويكفيها انها تدعوه بمرارة ، وتودعه بكلمات لا تدل على الحزن ولكنها الحزن نفسه : (وداعا ايتها المقدرة على التنفس) ٠ (الصياد والنجم) الصياد اي رجل شرقـي يتصيد بعينيه ، شبكته هي شبكيته ،الرجل الشرقي الذي اغترف الكبت الحضاري حتى لكانه ورثه مـن ذويه ، اما النجم فهو المرأة ، اي جزء من جسدها الحرام، وقد لا تكون المرأة ولا جزء من جسدها فقد تفعـل ثيابها نفس الفعل ٠ يذكرني هذا بقول لاحد الشعراء الفرنسيين يقول : ان ملابس النساء هي ايضا ناعمة كاجسادهن ٠ وهذا التهكم الفاجع يعطي في سطور صورة من اعز صورنا الكارثه ٠ اما قصيدة (حين تقبل الحرية عارية) فهي تحفظ الشاعر حيال موجة انطلاق الفـرد العربي فتى وفتاة ، لكن الشاعر يقف هنا موقفا متخوفا ويلتزم الجانب الاخر ، ولست ادري لماذا ، كان الشاعر يتنكر هنا لرفضه الطبيعي ويدير ظهره لحتمية ان يكون في الجانب الواعي ٠ ان الحرية التي يسميها الشاعر عارية لم تستطع ان تكسبه ولست ادري ان كـان الشاعر سيشتري لها ثيابا ٠ وقصيدة (باطل) تفسـر عنوانها ، ان الحياة : وهنا يعرض الشاعر لنا صورا على انها ستصير وتتحول هي الباطل في حين ان الموت لديه هو الحق الوحيد فالوحل سيغطي اكتافنا وتشبـع اجسادنا التراب ، والشجر يتحول من بذرة تكمن فيها استعدادات الحياة الى خشبة ، مجرد خشبه تشقها الفأس ٠

(الاجراس المتماسكة) : هذه القصيدة هي اخـر قصيدة في الفصل الاول وقد اراد لها الشاعر ان تكون مغناة للسلام :

تماسكي ايتها الاجراس
ابغيك مهرا لحبيب غاب
في غابة تخلو من الذئاب
لامل خباه طفلي
في قلبه مفتح الابواب ٠

٢ـ غربة الكلمات المداهنة :

الشاعر في هذا الفصل مقسوم على نفسه كـما ارى يود ان يقول شيئا لكنه في واقع الامر يقول شيئا مختلفا تماما ، هو بطبعه متمرد ولكنه لا يود ان يتحمل تبعة هذا الرفض ولا ان يدفع ثمن هذا التمرد ، هو يدعي ان الكلمات المداهنة تعاني من الغربة ولا اظن او يظن غيري ان المداهنة وهي نفاق النفاق كانت غريبة غربة اجتماعية خلال عصور التاريخ ، ولكن يمكن ان نقبل الغربة على انها غربة فكر وقلب ، ولما كان هذا يطرح مشكلة من اكثر المشاكل النقدية حدة ومرارة فانني ارى ان الرفض ان لم يكن له مهر يدفعه الفنان ضل وأضلنا ، وكان كمن يمسك بقرني الاحراج ، ان المعاناة ـ التجربة هي التي تصنع مصيرها ومصير سيدها لانها ما ان تلد حتـى يقع ابوها تحت سطوتها ٠

قصيدة (صفعة الرجاء) تتقرى بانبهار المرأة الخاطئة، انها ببساطة واقعية مداهنة ، اننا نتقبل ان تخطىء النساء جميعا ، وقد يخطئن معنا ولكننا لا نرجو للخطيئة ان تنال النسوة اللواتي هن في دائرة الانا • انها ذهنية الشرقي الذي ألف ان يكون فرديا ويتمركز وسط الاشياء كل الاشياء – اما قصيدة (الشبكة المقطعة) فهي من القصائد الحرام ، انها امثولة ألفها الشرق فكانت راية حضارته ، ورمزا قرمزيا لاخلاقيته الشرقية ، عندهـا يتعانق العيب والحرام ، فرموز الشرطي ، والتنين ، والذئب ، والعيون التي تتهم في الشارع ، لعل هـذا يذكرني بقصيدة نزار قباني (حبلى) التي اثارت يومها ما اثارت •

وقصيدة (نجمات الليل الممحية) تقف الى جانب المرأة وتشد ازرها ، انها لا تتهمها ، ولكنها تظل مساعـدة الشرقي الذي حتى وهو يشارك وجدانيا يتطلب ثمن مشاركته :

تماسكي يا ليلة الظنون
ويا جناح العتمة المهيض
فبالبذور انتفخت أفكاري
ومدت الجذور للجواري
وابتسمت للافق العريض

اما قصيدة (المهرجان) فهي مداهنة حقا كما يقـول الشاعر منذ مطلعها ، كل الاشياء المفروضة مرفوضة من قبل الشاعر ، انه لا يريدها ولكنها لازمة عليه • وفي قصيدة (غيظ وثعلب وزئبق) يرمـز الشاعر للمكر الاجتماعي بالثعلب والمداهنة والمطاطية بالزئبق، وينفعل هو بالغيظ • و (في زحام الافاعي) مناشدة انسانية لنبذ الشر والتحدي تتخللها ظلال وجدانية تحدد مفهـوم الشاعر لقيم وجودية ، ولعل اهم هذه المفاهيم هو مفهوم «النظرة»

اما قصيدة (١٩٧١) فهي تجربة عامرة غنية • انها تتهمنا اننا ناخذ من الدين جانبه المظلم ونترك ما فيه من حب وايثار فكاننا نزيف الرب • (وفي الحد المنهار) يدعو الشاعر الى البر بجمال التراث القديم من حب وفروسية وكذب وبساطة •

جدي مضى
كالفارس المعطاء
يرفض ان يعابث القلوب
يحلف بالصليب والعذراء
لا يتوب •

(الحاج على المنحدر) من أصدق قصائد المجموعة ، ان الشاعر يلح فيها على المنحدر قبل السقوط ، انـه يسافر لا يقر ، وكانه يود التوزع بالقلق ولكن لاجدوى فالمنحدر واقف خلفه اغراء به •

(والناقوس) هي انبثاق الفرح رغم التشدد في خنقه • ان ذوي المسوح ينسجون من السواد اغنيات من نوع معين على موائد الشراب • ان المعاناة هذه تتهم الفكر الديني ولكن تهمتها تظل كما قلت من باب اضعـف الايمان •

٣– اغاني الاحلام المنهارة :

هذه القصائد هي الفصل الاخير من المجموعة وهي كما يدل عنوانها قصائد حب كان وهو اليوم لم يعـد قائما • او انه استيقظ بعد ان فات الاوان ، وتنطبق على هذا الفصل كل ميزات الفصلين الاولين فقصيـدة (غصه وزيف ورجع الصدى) قصيدتان تحكيان بعـد اعوام طويلة قصة وجدانية كان الشاعر قد عاشها ، ووجد نفسه فجاة امامها •

تطاها الاقدام
تبحث عن قرط وخاتم ثمين
وعن مصاغ العرس والثياب

وقصيدة (البعث) هي دورة الحياة في الطبيعة وعلاقتها بالانسان وبالعناصر وهي ايضا ، للدلالة على معاناته الوجدانية ، فالحبيب مبثوث في الاشياء معروف بهـا ولعل الاصدق ان نقول انها معروفة به هي فالموضوع (فتاة الشاعر او فتياته) تجيئه عبر الوجوه الحـلوة الشبيهة• وقصيدة (كلمة وظن) قصة الحب الذي لايقال لانه منهار مقدما بفعل فأس المجتمع والتقاليد • ترد على هذه القصيدة قصيدة اخرى هي (مستحيل – مع فارق انها الفتاة في قصيدة مستحيل محصنه) اما (قـارب وشيطان) فالمراة فيها حمقاء ومتعبه وقصيدة (نغم ولون) غنائية (وقلاع الوثن تخلط) الموسيقى بالشعر فهمافتاة

والقصيدة الاخيرة في المجموعة هي انبثاق النور خلل العتمة ، وهذا التفاؤل محبب وكريم •

يا احرفي لا تقلقي
فمن هناك اسمع الصفير
هذا قطاري عائد ومشرق
بالامل الكبير

وبالاعتراف الصريح الموضوعي نقول اخيرا بعـد هذا الاستعراض للمجموعة ، ان قصائدها غنية وحيية واكثر التصاقا بالوجدان الفردي من «الدرج المؤدي الى اغوارنا» الذي امتاز بحداثة قصائده وجرأتها وزخمها •

الدكتور لويس عوض :

أنا لا افكر إلا بالمستقبل

اعداد : ابراهيم موسى ابراهيم

المعلم !!

هذا هو اللقب الذي يطلقونه على الدكتور لويس عوض ·· لان الكثير من ادباء اليوم تتلمذ على ايدي الدكتور عوض عندما كان مدرسا في الجامعة · بعضهم قرأ دراساته وابحاثه ·· والبعض رأى الفن من زوايا جديدة بفضله ·· فالكثيرون اطلوا على الفكر اليساري من خلاله ·

ومع ذلك ، فقد اختلف الجيل معه في كثير من الاحيان ، وان كان ذلك تمرد التلاميذ على استاذهم ، الذي علمهم أول ما علمهم التمرد ·· ثم طالبهم بالكثير من الجهد ، وقسا في مطالبتهم لا لشيء الا من اجل علمهم ·

ولكن صفة المعلم ليست الصفة الوحيدة في لويس عوض ، رغم صدقها وشمولها جانبا كبيرا من الحقيقة · ففيه ايضا صفة الفنان · فقد ارتاد معظم مجالات الفن · فكتب ديوان شعر باسم «بلوتولاند» ربما كان أول تجربة في الشعر الجديد · وكتب مسرحية بعنوان «الراهب» ·· وكتب رواية بعنوان «العنقد» ·

واذا كان الدكتور لويس عوض قد جاوز الخمسين . فهو اكثر شبابا من بعض الشباب ، الذين يتمردون عليه في «حب» والذين يعاملهم بحب وعنف معا ·

وقد دار الحوار التالي بينه وبين تليفزيون القاهرة· ومثل التليفزيون في هذا الحوار وطرح الاسئلة السيد عبد المنعم صبحي · وتلخص هنا أهم ما دار في هذا الحوار الشيق ·

● لكل كاتب قضية تشغله · واذا كان من الصعب تحديد هذه القضية في البداية ، فانه أقل صعوبة اكتشافها بعد سنوات طويلة من المعاناة · فما هي القضية التي تشغلك ؟

– البحث ·· قضية خمسة وثلاثين عاما من عمري ·· ابحث واكتب حول «البحث» واحوم حوله ·

● على مستوى قضية البحث من الناحية الفكرية ·· احب في البداية ان أقف على رأيك ؟

– عالم الانسان ، ما زال الكثير منه لم يكتشف بعد· وهذا ما يجعلنا نحس بجسامة القضية · وتأخذ قضية البحث اشكالا متعددة· البحث الايديولوجي والميتافيزيقي والنفسي ··· الخ لكن مسحة الانتماء هي التي تعطي رائحة القضية في ظروفها المعاصرة · والبحث عامة جزء من المشكلة الانسانية · وربما كان عمل متكامل ، يتناول قضية البحث هو «الاوديسة» · ولا غرابة اننا بعد اكثر من الف عام ، نرى جيمس جويس يبلور القضية في رواية بعنوان «اوديسيوس» ·

● هل بدأت قضية البحث منذ صدر شبابك ؟
– بالطبع ·

● هل ساعدك احد في رحلة البحث هذه ؟

– بعض الاساتذة اناروا الطريق · ولكن اضواء الفنار لم تكن كافية للسفينة حتى تصل الى الشاطئ· فالبحر تملأه الانواء ·

وكان لويس عوض قد اشار اكثر من مرة الى تلمذته على يدي الدكتور طه حسين · كما اشار في ثلاث مقالات نشرها بعد وفاة العقاد عن اعجابه به فترة من الفترات· وبمناسبة وفاة الدكتور محمد مندور ، كتب كيف انه كان دليله للثقافة عند سفره الى اوربا ·

● ما هي النتائج الفنية لرحلة البحث هذه ؟
– ديوان شعر باسم بلوتولاند ··

● ولماذا اخترت هذا العنوان بالذات ؟
– الاله بلوتو ·· هو رب المال عند الاغريق · واسم

الديوان من هـذه الزاويـة يعني ارض التراث .. وفي السياسة ، تعني البلوتوقراطية ، حكم المال واصحاب الملايين . وهكذا كانت مصر في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ .

وقد اختلف النقاد حول بداية الشعر الجديد . فرأى بعضهم ان «بلوتولاند» هو بدايته . ورأى اخرون ان علي احمد باكثير هو رائده . ثم قيل ان نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور ، هم أول من بدأوا هذا الشعر . ولكن مما لا شك فيه ان «بلوتولاند» كانت تجربة شعرية فريدة في الثلاثينات عندما كان الشعر العربي يعاني من قيوده .

● وماذا عن القصائد التي احتواها الديوان ؟

ـ القصيدة الرئيسية في الديوان ، قصيدة قصصية تحمل اسم الديوان ... وتحكي عن فرسان ثـلاثة ، احدهم يمثل الشعر ، والثاني الفكر والثالث الاصلاح الاجتماعي . دخلوا ثلاثتهم في مغامرة عاطفية مع ثلاث من الحور ، وهزموا في معركة الحب .. لان الحور كن من العيان يبعن قلوبهن لمن يدفع اكثر !

● ماذا وراء هذه القصيدة ؟

ـ كنت اسمي هذه القصيدة قصة تقدمية ورجوت وقتها ان تعمق في الناس الاحساس بالحب وفي المثقفين الاحساس بالرفض، فهي من هذه الزاوية تقترن ببدايات الفكر اليساري عندي .

● كيف ارتبطت باليسار ؟

ـ منذ البداية كنت رافضا . وساعد هذا الرفض وعمقه ، انني تلقيت في سن مبـكرة تدريبا عميقـا في الاشتراكية الفابية والماركسية معا ..

● ومتى كان ذلك ؟

ـ بين عامي ١٩٣١ و ١٩٣٧ .

● هل هذه الثقافة هي التي دفعتك لان تكون اديبا وناقدا .

ـ جعلتني على الاقل ، اقف على الارض لارى ..

● لمن كنت تقرأ في هذه الفترة ؟

ـ برنارد شو وويلز وويب وماركس وانجلس .

● من هذه الزاوية هل كان لاحد الاساتذة فضل عليك ؟

ـ سلامة موسى كان له الفضل الاول ، ثم بعض اساتذة كمبردج ، الذين درسوا لي الفـكر السياسي وبعضهم كان تقدميـا ، واشترك في الحـرب الاهليـة الاسبانية .

وسلامة موسى واحد من رواد الاشتراكية في مصر . وشارك في انشاء الاحزاب اليسارية الاولى التي اعقبت ثورة ١٩١٩ . وقد تعرف سلامة موسى على الاشتراكية عن طريق الفابيين ، عند اقامته في انجلترا ، ومن هنا اصبحت آراؤه تتسم عامة بالفابية. وكان سلامة موسى على علاقة ببرنارد شو وويلز .

● اذا تركنا الايديولوجيين جانبا .. من هم الادباء الذين تاثرت بهم في هذه الفترة ؟

ـ تأثرت بفروع مختلفة من نهر الفكر ، على مختلف مستوياته ، الا ان المفكرين الانجليز ، اثروا في بشكل واضح ، ربما حتى في منهجي ، وفي طريقه نظرتي للفن والحياة .

وكان لويس عوض ، انبغ طلبة جامعة فؤاد (القاهرة حاليا) . وقد اكمل تعليمه في انجلترا ، وروى حكاية هذه البعثة في كتابه الطريف «يوميات طالب بعثة» وكان أول مدرس مصري للادب الانكليزي .

● واذا اردنا ان نعرف اسماء كتاب قرأت لهم في هذه الفترة ؟

ـ برنارد شو ، واليوت ، وازراباوند ، وفروست.. وايضا .. جيمس جويس ، وسـكوت فيتزجيرالـد ، وهمنجواي ، وفوكنر ، ودوس باسوس ، وهربرت ريد ، وكودويل .

ومن هذه الاسماء نخرج بعدة ملاحظات . أولا : كان برنارد شو مركز الاهتمام من الادب الانجليزي ، ويلتقي معه في الاتجاه الفابي الى حد ما . ثم ان اليوت وباوند وفروست هم من أهم شعراء الانجليزية في هذا القرن ، ومن الطبيعي ان يستغرق فيهم دارس الادب الانجليزي. ثم ان في قراءة جويس وفوكنر .. ما يؤكد تبني لويس عوض للاتجاهات الجديدة في الادب فيما بعد . وكان كودويل المثل الاعلى بدراساته الجمالية والنقدية من

وجهة نظر الفهم الماركسي للفن ، ثم انه استشهد في الحرب الاسبانية . اما قراءة شتاينبك ودوس باسوس والى حد ما همنجواي، تدل على مدى تعلق لويس عوض، آنئذ بالادب اليساري .

● هناك قضية ترددت في اشتراكك فيها على اساس انك طرف فيها وهي بداية الشعر الجديدة . هل تعتبر الثلاثينات ، وهي الفترة التي بلورت ديوانك هي بداية هذا الشعر ؟

ـ الشعر الحديث ، أو الشعر الحر كما يسمونه لا يبدأ تاريخه من عام معين .. فالظواهر ، ليست نتاج جهد فرد ، بل هي عادة تعبير عن مرحلة .

● اذن كيف تفسر بداية الشعر الحديث ؟

ـ البداية كانت في الشعر العامي .

● كيف ؟

ـ قام بهذه التجربة الاديب العظيم محمد عثمان خلال القرن التاسع عشر ، عندما ترجم أربع تراجيديات لراسين ، واربع كوميديات لموليير .

● اعتقد ان عثمان جلال لم يبرر تجاربه هذه ؟

ـ عثمان جلال لم يترك لنا اي دفاع نظري عن هذه التجارب ، يمكن ان نستخلص منها الاسباب التي دفعته الى الاعتراف بالعامية ، كأداة للتعبير الشعري الرفيع ..

● هل ترى ان مشكلة التجديد اذن كانت مشكلة لغة ؟

ـ على الاطلاق . المشكلة ، اساسا مشكلة فنان ورؤية .

● من هنا ترى .. ان مشكلة اللغة كانت تشغلك من البداية ؟

ـ اللغة اكثر من وعاء يصب الكاتب فيه افكاره .

● كيف بدأ اهتمامك باللغة ؟

ـ منذ شبابي الباكر ، وانا طالب في الجامعة . وحين أوفدتني الجامعة الى كمبردج عام ١٩٣٧ . اخذت ادرس الايطالية ، ولاحظت البعد بينها وبين اللاتينية ، في النحو والصرف وصور الكلمات .. وقد حدد هذا رسالتي .

● وماذا كان عنوانها ؟

ـ لغة الشعر .

● وما الدافع للاهتمام بمثل هذا الموضوع ؟

ـ خيل الى ان الفصحى قد تقتل التلقائية عند الشعراء وتجعلهم مجرد مقلدين ، ما لم تتوافر للشاعر العبقرية الفردية .

● كان من رأيك ، اذن ، ان الفصحى تجمد الادب ؟

ـ خيل الي ان ادبنا الحديث يمكن ان يجدد نفسه لو تجاور فيه التعبير بالفصحى لذلك نظمت الشعر بالعامية ، احيانا ، وبالفصحى احيانا ، لاقدم نماذج تطبيقية على هذه الرؤية .

● واذا نظرت ، الان ، الى هذه النماذج الشعرية.. ماذا تقول ؟

ـ لم اكن ، ابدا ، راضيا عن هذه التجارب ، الا في حدود انها تجارب .

● هل كان وراءها هدف ما ؟

ـ كنت آمل ان يظهر في مصر شاعر عظيم، يستطيع ان يستغل ما في العامية من بلاغة ؟

● وهل تحقق حلمك ؟

ـ الى حد كبير في مدرسة صلاح جاهين .

● وبقية شعراء العامية .. فؤاد حداد ، سيد حجاب ، عبد الرحمن الابنودي ، وغيرهم .. ما رأيك فيهم ؟

ـ طابعهم الغنائي يحول دون تصديهم للاعمال الجسيمة . لم يفكر واحد فيهم ان يكتب ملحمة أو دراما بالشعر العامي .

● ما رأيك في الشعراء المعاصرين ؟

ـ كانت الارهاصات التي تحدثت عنها عامـلا في ظهور كبار شعرائنا المحدثين، مثل بدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي ، وصلاح عبد الصبور ، واحمد عبد المعطي حجازي ، ومن بعدهم من شعراء ٠

● وما رأيك في الشعر اليوم ؟

ـ أي نظرة سطحية للامور ، تجعل بعض المتشائمين يقولون أن الشعر الحديث ستنفد اغراضه فقد بدأ غنائيا ، وظل غنائيا نحو عشرين عاما ٠

● واين الامل ؟

ـ الشعر الحديث يتجه الى البساطة في التركيب بمعنى انه يتجه الى معمار الدراما ٠

● وفي التطبيق ٠٠٠ ماذا تقـول عن صلاح عبـد الصبور ؟

ـ مشغول في السنوات الاخيرة بتسخير الشـعـر الحديث لاغراض التعبير الدرامي ٠

● واحمد عبد المعطي حجازي ؟

ـ يعطي اعماله في اطار الغنائية ٠

● ومعين بسيسو ؟

ـ يتجه الى الدراما٠ نفس خط صلاح عبد الصبور٠

● والاجيال الجديدة من الشعراء ؟

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ !!

● هل معنى كلامـك عن الشـعـر الحـديث ، ان الغنائية قد فقدت مبررات وجودها ؟

ـ الغنائية تمر بمحنة اليوم ، لا الشعر الحديث ٠ ويبدو ان روح العصر ٠٠ بما فيه من تأزمات درامية ومعارك ملحمية لا تدع مجالا في نفوس الشعراء للحظة الغنائية ٠٠ فهم يحملون ، الان ، على اكتافهم قضايا عصرنا الملحة ٠

● هل هذا يفسر ، نظريا ، انتقالهم الى الدراما ؟

ـ بلا شك ٠٠ انهم يتجهون الى التعبير المركب ٠

● ما رأيك في الحركة النقدية اليوم ؟

ـ تقلصت لان الخلق الفني نفسه قد دمر ٠

● يقول البعض ، أن العكس هو ما حدث : ان الحركة الفنية تأخرت في غيبة النقد ؟

ـ غير صحيح ٠ من الصعب ان نتصور فترة يزدهر فيها النقد، اذا مات الخلق، لان النقد تتخذ له موضوعا مما يكتبه الادباء ٠

● نفهم من هذا انك غير راض عن القصة والرواية اليوم ؟

ـ ليس هذا ما ينتظره الناس ٠

● وانتاج ما بعد ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ؟

ـ لا يدعو للارتياح ٠ وانا لا الوم الكتاب والفنانين، السبب هو القلق العام وجسامة الالام الوطنية ٠

● معنى هذا ان ادب المرحلة لا يعبر عنها ؟

ـ التحديات الموجودة في عصرنا ، عامة ، وفي مصر بالذات اكبر من قضية الادب والفن ٠

● والخلاص ؟

ـ هناك أمل في شيء عسير ٠ وهو ان يخلق منـا عالمين : عالم متوتر يعيش فيه مع الاحداث ٠ وهذا طبعا ، واجبنا الوطني ٠ وفي الوقت نفسه يبني لنفسه عالما آخر ، يسوده الاحساس بضرورة البناء الطويل الاجل ٠

● ما ابرز سمات هذه المرحلة ؟

ـ انفجار اللحظة ٠٠ وقلق اللحظة ٠

● كم عدد كتبك ؟

ـ ٣٤ ٠٠

● أهمها في رأيك ؟

ـ في المرحلة الاولى بلوتولاند، مذكرات طالب بعثة، العنقاء ، في الشعر ، برومتيوس طليقا ، في الادب الانكليزي ٠

● وفي المرحلة الاخيرة ؟

ـ في تاريخ الفكر المصري الحديث ٠

● ما هي القضية التي تشغلك الان ؟

ـ مواجهة الانسان للامور الجسيمة ٠

● متى ولدت ؟

ـ في يناير (كانون الثاني) ١٩١٥ في قرية شاروتا في المنيا ٠

● متى حصلت على الدكتوراه ؟

ـ عام ١٩٥٣ من جامعة برينستون ٠

● متى اشتغلت بالجامعة ؟

ـ عام ١٩٣٧ ٠

● ومتى تركتها ؟

ـ عام ١٩٥٤

● هل ندمت على انك تركت الجامعة ؟

ـ انا لا افكر الا في المستقبل ٠

نير شوحيط

تفهم الشعر الحديث

ان الكلام عن الشعر الحديث ليس معناه دحض الشعر غير الحديث . ان شعرا نبيل السلالة قويم البنيان كالشعر العربي لا يستطيع التجديد الاوروبي الحديث ان يحل محله او ان يهد كيانه ، لذا فلا خطر من قيام الشعر الاوروبي بلغة القران ، لان هذا الشعر هو ظاهرة فترتنا الادبية في العالم اجمع وليس من الصحيح الا تتقدم عجلة الزمن في الشعر العربي في الساعة التي تتقدم فيها الحياة وتتجدد .

ان الاعتراض الاساسي للشعر الحديث ليس في انعدام القافية وانعدام الوزن احيانا ، بل في انعدام المحتويات – كما يدعي المدعون – او بمحتويات غير مفهومة وغير مستساغة كما يدعي الاخرون ، وسبب هذا كما يقول الشاعر ت.س . اليوت بان محتويات الشعر الحديث ليس فيها ما يشبع رغبة القارىء او يلائم عادته .

اجل ، لقد صدق هؤلاء المدعون، لان اعتراضاتهم عبرت عن صدق مشاعرهم وجاءت لمصلحة الشعر والادب ، ولكن خطاهم هو في تقييم الشعر الجديد بمعيار قديم وطلبهم ان يكون قديما ويدعى جديدا في نفس الوقت ، اذ لا يمكن لقارىء الشعر الحديث ان يقدم الى هذا الشعر وكل شعوره منسجم باوزان الخليل وقوافي ابن الرومي ، باوصاف البحتري وخواطر المتنبي . مثل ذلك مثل من يصغي للهجة عربية فاذا به يسمع لغة اجنبية ، اومن يروم فهم سيمفونية باذنه العربية الخالصة فيدعي بعدم الفهم او يصم الاخرين بالتفاهة .

لذا فان تفهم الشعر العصري هو كيفية قراءته لا في علم صاحبه . في كيفية استساغته لا كيفية تفسيره . الشعر العصري يتطلب اذنا عصرية بل انسانا عصريا ، والانسان العصري هو من يجد الجمال في كل زاوية من زوايا البناء لا في كمال البناء اي ان البناء جميـــل في اجزائه وفردياته ، لان الكمال لم يعد غاية في الفنون جمعاء . ان الغاية في الفن العصري الذي يعرف بالفن التعبيري هي في قيامه اي في تكون اجزائه . وتعبير اخر جمال الجزء من العمل الفني في الجزء نفسه لا في ترابط الاجزاء بعضها ببعض واستكمالها ببناء كامل تام . لذا فقد بدت الفنون الجميلة غير مستكملة فلم يعـــد المصورون يرسمون منظرا بتمامه كما كان يفعل اصحاب المدرسة التأثيرية قبلهم بل يرسمون خطوطا ورموزا ، لطخات وتموجات ، لان الكمال التصويري الان هو عمل الة التصوير الفوتوغرافية التي لا حاجة في منافستها ، وعمل الفنان الان ليس في تصوير المنظر بعينه الجسدية بل بعينه النفسانية ، اي ان الفنان لم يعد ينظر فحسب بل يرى ويتبصر .

وفي الشعر الحديث لم تعد لوصف المنظور اهمية بعد ان تقدمت المواصلات واخترع التلفزيون وتقلصت الكرة الارضية «بمساحة زمنية» صغيرة ، بل الاهمية بوصف ذلك المنظور من خلال قلب الشاعر لا عينه .

ومن الخطا ايضا ان يعمل القارىء كل فكرة لفهم الشعر الحديث لان الشعر الحديث ليس بفكرة بنيت حسب المنطق الكلاسيكي المتبع بل بمنطقها الذاتي . ان فهمها ليس باسس شعرية وفكرية مالوفة بل بتذوقها واستطعامها فانت لا تستطيع ان تستسيغ طعاما جديدا اذا طلبت نفس الوجبات التي تعودت على اكلها . فقد فقد يكون الذ طعام اسواه اذا لم تتعمد المحاولة لاستساغة الجديد . فالتجدد هنا هو تجديد الشاعر وتجديد القارىء على السواء ، ولكن القارىء الان بقي في مكانه في الوقت الذي تقدم الشاعر وحده .

ان الشعر الحديث هو شعر انقلابي لانه لا يستعمل الادوات القديمة انه غير مرتبط باسس اخرى لانه ذاتي مستقل . وان فهمه ليس بسبيل واحد مالوف بل بسبيل شتى وان الفرق بين فهمك له وفهم سواك هو ابعد مما كان عليه الشعر من قبل ، لانه قابل للتفهم بصور شتى وفي حالات قصوى لا يتفق اثنان في شيء مما فيه . فهو يلعب في النفس كما تلعب الاحلام لا كما تلعب

(التتمة على ص ٥٠)

محمود كناعنة

الأدب العربي الحديث في اللغات الأوروبية

على الرغم من أن عدد المؤلفات والقصص والدواوين التي نقلت حتى الان من الادب العربي الحديث الى اللغات الاجنبية هو قليل نسبيا ، الا اننا نستطيع ان نقول بان الخطوات التي سارت فيها رحلة هذا الادب الحديث الى اللغات الاجنبية هي خطوات بطيئة اذا قيست بالرحلة التي قطعها الادب العربي القديم او الكلاسيكي الى نفس تلك اللغات ، وهذا يظهر لنا ان اهتمام المستشرقين بالادب القديم كان أعمق وأشمل من اهتمامهم بالادب الحديث • ولا نريد هنا ان ندرس بالتفصيل اسباب انصراف المستشرقين الى احياء القديم وتناسي الجديد • فهذا امر يطول ، وهو ايضا لا يقع ضمن نطاق بحثنا اليوم • واذكر هنا فقط ان جبرا ابراهيم جبرا قد عالج هذه الناحية بصورة مفصلة في مقال نشره بمجلة القافلة أيلول سنة ١٩٤٧ ، وذكر أثر هذه الظاهرة فقال : «وقد حدا هذا بكثيرين من القراء في الغرب الى الاعتقاد بان الادب العربي الحديث لم يوجد بعد» • وقد تكون الاسباب راجعة الى القارىء العربي في الشرق أو الى غير ذلك من الاسباب • ومع ذلك فسنحاول هنا ان نتعرف على أبرز المراحل والخطوات في رحلة هذا الادب الحديث علما بان اول محاولة في ميدان القصة الحديثه باللغة العربية لم تطبع ولم تنشر حتى الان بالعربية ، وانما نشرت بالفرنسية مما يؤكد لنا ان الاهتمام بالقصة العربية جاء متأخرا – وهذه القصة هي عبارة عن مجموعة من الحكايات بعنوان (تحفة المستنيم ومقامات المارستان) كان قد ألفها (الشيخ المهدي) أحد شيوخ الازهر الذين اتصلوا بعلماء الحملة الفرنسية • وقد قام المستشرق الفرنسي مارسيل بترجمتها الى الفرنسية ونشرها • وكانت هذه هي الباكورة الاولى من الادب الحديث والتي نبدأ بها رحلتنا هذه ، مراعين في ذلك قاعدتين هامتين هما الترتيب الزمني واهمية وشهرة المؤلف وسنحاول مع هذا أن لا نتقيد كثيرا بالترتيب الزمني لنعطي امثلة من الرواية او القصة الحديثه ومن الشعر والادب التمثيلي ثم من مواضيع البحث الادبي قدر المستطاع • وكذلك سنحاول الان ان نطلع القارىء على اوضح الامثلة والنماذج التي كتبها المستشرق عن الادب العربي الحديث فأتموا بذلك شروط هذه الرحلة نحو اوروبا وأدب العالم العربي بلغاته المختلفة • وبهذا استطاعوا اضافة الى تقديم الامثلة ان يقدموا التعليقات والشروح التي تساعد على فهم مشكلات هذا الادب العربي الحديث وما فيه من قضايا تستوجب النظر الفاحص والدراسة الناقدة المحللة •

ومن اشهر الامثلة على هذه المواضيع التي كتبها المستشرقون عن أدبنا الحديث مجموعة الدراسات التي نشرها المستشرق الروسي المشهور (كراتشكوفسكي) منذ مطلع هذا القرن وحتى وفاته سنة ١٩٥١ وهي تضم أبحاثا عن كل من رزق الله حسون الارمني اللبناني ، الذي درس عليه الكثير من مستشرقي العالم أمثال ادوارد بالمر الانجليزي وبادجر الانجليزي ايضا ، وكراتشكوفسكي نفسه • كذلك تضم هذه الدراسات ابحاثا عن سليمان البستاني ، والدكتور طه حسين وبصورة خاصة (طه حسين والشعر الجاهلي) وكتاب الايام • كما اهتم بدراسة الشاعر اللبناني يوسف غصوب والشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري • ونشر ابحاثا عن هذا الادب الحديث وصلت الى حوالي ثلث مؤلفاته في ميدان الاستشراق والتي تربو على اربعمائة وخمسين اثرا • كذلك تجدر الاشارة هنا الى الاستاذ انطون الخشاب اللبناني الاصل والاستاذ في جامعة بطرسبرج الروسية والمتوفي فيها سنة ١٩١٩ م• فقد كان اول من كتب باللغة الروسية عن الادب العربي الحديث • كما ان المستشرق الروماني عبد الكريم جرمانوس المولود في بودابست عام ١٨٨٤م والذي كان محاضرا بدمشق في الادب العربي المعاصر نشر في سنة ١٩٥٠ دراسة قيمة عن محمود تيمور وادبه ودراسة اخرى شاملة عن الادب العربي الحديث • وقام المستشرق الروسي فلاديمير لوتسكي باصدار كتاب بعنوان «محاضرات ودراسات في تاريخ الادب العربي المعاصر» •

كذلك كان بين اشهر مستشرقي الاسبان الذين كتبوا دراسات عامة عن الادب الحديث الاديبة ماتنيز مارتين التي اختصت بدراسة الشعر المعاصر ونقلت حتى الان منتجات لكل من الشعراء : بشاره الخوري والياس ابو شبكة ، وصلاح لبكي ، وسعيد عقل ، ويوسف غصوب ، أما عن القصة العربية بصورة عامة فلا اوضح من ان نقدم هنا ذلك المجهود العام الذي بذلته ابنة الناصرة كلثوم عوده (فاسيليفا) عندما نشرت بالروسية قصصا لعيسى عبيد ، يوسف جوهر ، محمد البدوي ، محمود لاشين وتسع عشرة قصة مصرية اخرى ، وأقاصيص منتخبة لكتاب من لبنان وسوريا و«المصابيح الزرق» لحنامينا الكاتب السوري ، «وكهان الهيكل» للدكتور جورج حنا اللبناني وغيرهم .

ومن مستشرقي اللغة الفرنسية ليسيرف عضو المعهد الفرنسي بدمشق الذي وضع سنة ١٩٦٢ دراسة مفصلة بعنوان الادب العربي المعاصر والاتجاهات الاجتماعية ، وأما باللغة الالمانية فان المستشرق الالماني كامبفماير الذي عاش بين سنة ١٨٦٤ – سنة ١٩٣٦ ، استطاع فعلا ان يعرف القاريء الالماني على الكثير من ادباء العربية في العصر الحديث بدراسة اشترك فيها مع الاستاذ طاهر الخميري ، ومن اشهر من تناولهم هذا البحث من ادباء العصر الحديث : علي عبد الرازق، مصطفى عبد الرازق ، ايليا ابي ماضي ، عباس العقاد ، منصور فهمي ، جبران ، محمد حسين هيكل ، محمد عبد الله عنان ، الانسة مي ، المازني ، ميخائيل نعيمة ، سلامة موسى ، وطه حسين .

اما باللغة الانجليزية فلم تقم قبل عهد المستشرق هاملتون جيب المولود سنة ١٨٩٥ في مدينة الاسكندرية، أية دراسة علمية عميقة للادب الحديث ، ذلك لان المستشرقين الانجليز انهمكوا دائما في دراسة الادب القديم واسترجاعه ، ولهذا فانهم لم يعيروا الادب الحديث في العالم العربي ادنى اهتمام حتى جاء هذا المستشرق الذي يعتبر من اشهر اعلام الاستشراق قاطبة فنبه الاذهان في الغرب الى الادب العربي ووجوب الاهتمام به ، وأرخ للادب الحديث منذ عصر محمد علي والحملة الفرنسية على الشرق ، وقد امتازت دراسات جب بتحليله لنواحي الادب ودراسة نزعات الادباء المختلفة حتى وصف بأنه صاحب عقلية حادة في الانتقاد ، وبأنه يكتب العربية كأدبائها ويروي نصوصها في محاضراته عن ظهر قلب ، هذا وقد اجتمع بكبار ادباء العربية المعاصرين شخصيا اثناء رحلاته في انحاء الشرق وبلاد المغرب وشمال افريقيا ، وكان عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي بالقاهرة وهكذا كان جب الباحث الاول لدراسة هذا الادب العربي الحديث في انجلترا والاقطار الناطقة بالانجليزية بصورة عامة .

وفي اسرائيل اهتم اكثر من باحث بنقل مؤلفات الادب العربي الحديث الى اللغات الاجنبية أو تاليف الابحاث عنها وخاصة باللغة الانجليزية كما فعل الدكتور لنداو عندما كتب بحثا عن الرحالة العربي الحديث محمد ثابت سنة ١٩٧٠ ،وكان قد اصدر قبل ذلك كتابا عن تاريخ المسرح العربي والسينما ، وقد حظي هذا الكتاب بتقدير الادباء في الشرق والغرب .

كذلك كتب الدكتور ساسون سوميخ رسالة دكتوراه عن نجيب محفوظ بالانجليزية ، وكتب الدكتور شموئيل موريه عدة ابحاث عن الادب الحديث بالانجليزية ايضا .

أما الان فالى نماذج من هذا الادب نختارها حسب الادباء على أساس اديب واخذ على الاقل من كل لون ادبي او اسلوب خاص او فن على النحو التالي :

رفاعة الطهطاوي :

مؤلف كتاب «تخليص الابريز في تلخيص باريز» وصدر عن مطبعة بولاق سنة ١٨٣٤ م ، وكان بين اوائل كتب الادب العربي الحديث التي نقلت الى اللغات الاوروبية حيث قام المستشرق الالماني الاصل والفرنسي الشهرة والاقامة بنقل هذا الكتاب الى الفرنسية بعد حوالي عقد واحد من نشره بالعربية اي في سنة ١٨٤٥ ونقصد بهذا المستشرق مونك الذي عاش بين سنتي ١٨٠٥ – ١٨٦٧ ، وقدم الى مصر بصحبة الوزير كريميه ونقل الكثير من المخطوطات العربية والعبرية الى الفرنسية ولكن الكتاب الوحيد الذي نقله من الادب الحديث كان «تلخيص الابريز» ، اما باللغة الانجليزية فقد قام المستشرق هيورث دون الاستاذ بجامعة لندن بنقل منتخبات عامة من كتاب «تخليص الابريز» لرفاعة ومنتخبات أخرى من مؤلفاته ونشرها بين سنة ١٩٣٧ – سنة ١٩٤٢ تحت عنوان «رفاعة الطهطاوي الرائد المصري» وهي تضم امثلة مختلفة من ادب الطهطاوي وترجماته وما اختاره من اللغات الاخرى مدخلا اياه الى العربية كما هو مشهور عن الطهطاوي .

محمود تيمور :

كانت قصص محمود تيمور قد جذبت اليها انظار المستشرقين واهتمامهم بحيث نقلت هذه القصص الى اكثر من لغة اوروبية ووضعت لها الدراسات والشروح المختلفة . ومن ابرز قصص تيمور المنقولة قصة «العم متولي» التي نقلها الى اللغة الايطالية المستشرق المشهور كارلو نللينو الذي كان عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق والمجمع اللغوي بالقاهرة منذ تاسيسهما . وقد نقل قصة العم متولي ووضع لها تقديما وتعليقا ونشرها سنة ١٩٢٧ م. أما المستشرقه آنادولينينا فقد قامت بمجهود ضخم عند ما اصدرت سنة ١٩٥٨ في موسكو كتابا ضخما بعنوان «قصص محمود تيمور» وقد ضمت هذه الترجمة الروسية اضافة الى القصص الكثير من الشروح والايضاحات عن الابطال والشخصيات في تلك القصص . وقبل ذلك بعام واحد فقط اي في سنة ١٩٥٧ م. قام ايضا المستشرق الروسي فالنتين بوريسوف بترجمة قصة مشهورة لمحمود تيمور وهي قصة «الشيخ جمعة» وعلنا في هذا المجال ان لانغفل رحلة القصص التيموري - ان جازت هذه التسميه - الى اللغة الانجليزية لانها من اشهر الرحلات ومن ابرز المأثورات الادبية الحديثه التي لقيت ترحيبا واهتماما في المحافل الادبية العربية والانجليزية معا بعد الاهتمام والترحيب الذي أثاره ولقيه كتاب «الايام» لطه حسين بترجمة المستشرق باكستون كما سيمر معنا .

اما قصص محمود تيمور فقد قام بنقلها الى الانجليزيه مستشرق مشهور هو دنيس جونسون ديفيز الذي تخرج من جامعة كمبردج وعاش في القاهرة في الاربعينيات من هذا القرن وعمل بعد ذلك في القسم العربي من محطة اذاعة لندن - ولذلك فهو يجيد العربية ويعيشها . ومن هنا جاءت ترجمته لقصص محمود تيمور مستقيمة الاسلوب ودون اي كلفة لغوية بحيث يرى من يقرأ هذه القصص بترجمتها الانجليزية انها ظلت تحافظ كليا على الروح والجو الشرقي او المصري الذي تصوره وتتحدث عنه . وظل أشخاص هذه القصص يعبرون عن انفسهم بالانجليزية بكل سهولة وطلاقة . وفي هذه الترجمة ست عشرة قصة وهو مزين بصور رسمت بريشة قرينة المترجم ووصلت قصص تيمور الى الادب الايطالي الحديث وذلك على يد المستشرق المشهور فرانشيسكو جابرييلي المولود سنة ١٩٠٤ . والذي يعتبر كبير اساتذة اللغة العربية وادابها في جامعة روما ، بل كبير المستشرقين الايطاليين والمعروف انه انتخب سنة ١٩٤٨ عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق . كما كان عضوا فعالا في كثير من الجمعيات العلمية . هذا المستشرق قام سنة ١٩٥٢ بترجمة قصص منتخبة لمحمود تيمور واضعا لها التعليقات المفيدة في تفهم شخصيات القصص وروحها . وهذا يذكرنا فعلا ببعض المجهودات التي قام بها المستشرق الروسي الانف الذكر كراتشكوفسكي ليعرف القاريء الروسي على الاديب محمود تيمور الذي كان صديقا لهذا المستشرق الا انه والحق يقال ظل كتاب «عبد الستار افندي» اشهر كتاب عرفه المثقف الايطالي لهذا الاديب . هذا وقد تمت ترجمة هذا الكتاب سنة ١٩٦٠ - وقام بالترجمة المستشرق الايطالي روبرتو روبناشي وصدر الكتاب في ميلانو مع تعريف بحياة المؤلف وادبه .

أما الى اللغة الفرنسية فقد تم نقل بعض قصص تيمور في مجموعة صدرت في باريس سنة ١٩٥٢ م. وفي سنة ١٩٦٠ م. صدرت بالايطالية في مدينة نابولي ترجمة قصة «عبد الستار افندي» أما كلثوم عوة ابنه الناصرة فنشرت بالروسية سنة ١٩٥٧ كتابا بعنوان «ثماني قصص لمحمود تيمور» .

نجيب محفوظ :

حظي ادب نجيب محفوظ ايضا باهتمام الكثير من المستشرقين ، فظهرت له باللغة الانجليزية سنة ١٩٦٣ ترجمة كاملة لقصة «زقاق المدق» وقام بالترجمة المستشرق مارسدين جونز مدير معهد اللغات الشرقية في الجامعة الامريكية بالقاهرة .

أما باللغة الاسبانية فقد قام المستشرق مارتينت مونتافيت في سنة ١٩٦٠ بنقل مجموعة من قصص محفوظ - ويذكر ان هذا المستشرق بشكل خاص اهتم بنقل القصة القصيرة من العربية الى الاسبانية ومن ذلك قصص لوداد سكاكيني . ومحمد عبد الحليم عبد الله . ويوسف الشاروني . وغيرهم وسنرى مجهوده ايضا في مواضيع اخرى من هذا البحث . ويجدر بنا هنا ان نتابع رحلة «زقاق المدق» الى لغات اخرى فقد نقلت الى اللغة الروسية سنة ١٩٥٨ م.

أما ثلاثية نجيب محفوظ المشهورة فقد استطاعت ان تكسب اعجاب بعض المستشرقين وفي مقدمتهم الروسي فالنتين بوريسوف الذي نشر هذه الثلاثية بالروسيه سنة ١٩٥٨ م. كذلك اهتم بهذه الثلاثية بعض

المستشرقين الفرنسيين وبينهم الاب جاك جوميه الذي نشر ترجمة هذه القصة سنة ١٩٥٧ تحت عنوان «حياة اسرة في القاهرة»

طه حسين :

مما لا شك فيه ان الدكتور طه حسين حظي بتقدير واسع في عالم الاستشراق فالفت عنه المؤلفات وكتبت عنه الدراسات المختلفة اضافة الى نقل كتبه الى اللغات الاجنبية . اما اشهر دراسة وضعت عنه فهي التي وضعهاسنة ١٩٤٢م. المستشرق الفرنسي كوينس مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة منذ سنة ١٩٤٠ حتى سنة ١٩٥٣ ـ وكانت هذه الدراسة الشاملة تحمل عنوان «مع الدكتور طه حسين» ـ واما باللغة الايطالية فنحن نعرف ان ماريا نللينو قامت بوضع دراسة عن حياة عميد الادب العربي بالايطالية سنة ١٩٥٠ م.

وأما ترجمة مؤلفات الدكتور طه حسين فنحن نستطيع ان نتبين رحلة كتبه الى شتى اللغات والاصقاع ومن ذلك ان كتابه «الايام» نقل مثلا الى اللغة الاسبانية سنة ١٩٥٤ . وذلك عندما قام المستشرق اميليو جارثيا جوميث بنقل هذا الكتاب واصداره في مدينة بلنسية .

ويذكر ان ابحاث طه حسين الادبية والتايخية حظيت بالتقدير البالغ ومنها بحثه عن فسلفة ابن خلدون الاجتماعية الذي نقله منذ سنة ١٩٢٥ م. المستشرق الهولندي فنسنك الى الهولندية اما بالالمانية فقد وضع المستشرق كامبفمايد دراسة عن طه حسين ضمن دراسات سابقة عن أدباء العصر الحديث ـ وقد تطرقنا لها من قبل ـ ... والى اللغة الروسية نقل ايضا كتاب «الايام» واراء طه حسين في الشعر الجاهلي .. وذلك بمجهود كراتشكوفسكي وفي سنة ١٩٥٥ ظهرت دراسة كاملة عن مؤلفات طه حسين جميعها . قام بها مستشرق روسي اخر هو شارا باتوف استاذ العربية بجامعة موسكو . وبعد ذلك بحوالي سبع سنوات نقل كتاب اخر الى نفس اللغة الروسية وهو كتاب «دعاء الكروان» الذي نقله المستشرق ستيفانوفا سنة ١٩٦٢.

والى اللغة الانجليزية نقل العديد من مؤلفات عميد الادب العربي منها في لندن سنة ١٩٣٢ «الايام» تحت عنوان «طفولة مصرية» للمستشرق باكستون ومنها ايضا «مستقبل الثقافة في مصر» ترجمة سدني غليزر وقد صدر الكتاب في واشنطن سنة ١٩٥٤ . وتبعه قسم اخر بعنوان «طالب في الازهر» وهناك بعض الترجمات الاخرى لفصول من «الايام» في الالمانية والهولندية .

محمد عبده :

نقدم هنا الشيخ محمد عبده كنموذج جديد على نوع خاص من الدراسات الحديثة التي استطاعت فعلا ان تنفذ الى ادب الغرب فوضعت عنه الدراسات كمصلح ديني واجتماعي اسلامي فمثلا وضعت المستشرقة الالمانية ايزل ليختانستادتر دراسة قيمة عن الافغاني ومحمد عبده ودعت الكتاب باسم الاسلام والعصر الحديث ومثلها فعل المستشرق الالماني هورتين الذي نشر سنة ١٩١٦ دراسة بعنوان محمد عبده والاصلاح . هذا وفي سنة ١٩٣٥ قام المستشرق الهولندي كير تكامب بترجمة وشرح رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ـ وقد صدرت هذه الترجمة الهولندية في امستردام . وكانت ترجمة اخرى لرسالة التوحيد هذه قد صدرت بالفرنسية سنة ١٩٢٥ في مدينة باريس للمستشرق «ب. ميشيل» كذلك قام الكثير من المستشرقين باللغة الانجليزية بوضع دراسات عن الشيخ الامام محمد عبده ومنهم رتشارد جوتهيل الذي كان استاذا في جامعة كولومبيا وتعلم العربية في الازهر وكتب بحثا بعنوان محمد عبده مفتي الديار المصرية ونشره سنة ١٩٠٧ وبنفس هذا العنوان ايضا كانت الدراسة التي وضعها مدير معهد الدراسات الاسيوية في جامعة ماك جيل الدكتور تشارلز ادامز في سنة ١٩٢٩ .

احمد شوقي :

نقدمه هنا كنموذج للشعر العربي يهتم به الدارسون والمستشرقون فينقلونه الى لغاتهم او يضعون الدراسات حول ادبه كما فعل المستشرق الفرنسي بريس الذي وضع دراسة عن ادب امير الشعراء سنة ١٩٣٦ م. ومثله ايضا المستشرق بلاشير بنفس اللغة الفرنسية . اما بالانجليزية فقد كتب دراسة مفصلة عنه المستشرق ر. لنداو وكانت على شكل مقارنة بين شعر شوقي وحافظ وصدرت سنة ١٩٣٧ . وبالايطالية اصدر المستشرق فرانسيسكو غبرائيلي سنة ١٩٦٠ دراسة عن شوقي . وقبل ذلك بعامين ظهرت اول ترجمة لرواية مجنون ليلى للشاعر شوقي ـ وقد قام بها المستشرق روبرتو رونياشي وصدرت عن جامعة نابولي الايطالية . وهنا تجدر الاشارة الى ان الترجمات المختلفة للشعر العربي الحديث كانت اقل من

غيرها من الوان الادب • ويعود ذلك الى صعوبة نقـل الشعر الى اللغات المختلفة •

توفيق الحكيم :

وصف أدب توفيق الحكيم دائما بالحيوية لانه ادب اخذ واعطى • اذ اخذ الكثير من مصادر ثقافية من لغات اجنبية واداب غربية وبنفس المقدار اعطى من ادبه لهذه الثقافات • حتى اننا نستطيع القول بأن ادبه كان سببا من اسباب التعارف الذي تم بين القاريء في انحاء العالم المختلفة من جهة وبين مظاهـر واوساط الادب العربي الحديث من جهة ثانية هذا وقد كانت اللغـة الفرنسية اللغة الاولى من حيث المبادرة الى نقـل ادب توفيق الحكيم • وكذلك من حيث عدد الكتب التي نقلت لاديبنا الحكيم • فاذا نظرنا الى الناحية الزمنية نرى ان ادب الحكيم نقل الى الفرنسية منذ سنة ١٩٣٦ ولـم تسبق الفرنسية في هذا المضمار اي لغة اخرى غـير الروسية التي رأت كتاب عودة الروح منقولا اليها منـذ سنة ١٩٢٩ اي بعد سنتين فقط من ظهور الكـتـاب بالعربية • واذا نظرنا الى ناحية الكم نرى انه تـم حتى الان نقل ثلاثين مؤلفا لتوفيق الحكيم الى هذه اللغة الفرنسية • وأشهر هذه الكتب هي شهرزاد ، عودة الروح ، يوميات نائب في الارياف ، أهل الكهف ،عصفور من الشرق ، الملك اوديب ، سليمان الحكيم ، السياحة والسلام ، الشيطان في خطر ، وغير ذلك • واشـهر المستشرقين الذين عملوا في هذا المضمار هم : جاستون فييب ، وجورج ليكونت •

أما الى اللغة الانجليزية فقد نقلت حتى الان ثلاثـة كتب هي شهرزاد ، عودة الروح ، ويوميات نائب فـي الارياف • كذلك علمنا ان الاستاذ بللي ويتدر الاستاذ في جامعة برنستون أتم مؤخرا نقل كتاب عصفور الجنة الى اللغة الانجليزية •

اما الى اللغة الروسية فقد تم نقل ادب الحكيم اليها من زمن مبكر اي منذ سنة ١٩٣٥ حيث تم نقل كتاب عودة الروح وطبع في لينغراد • والجدير بالـذكر ان مترجمة هذا الكتاب الى الروسية هي اديبة من الناصرة كلثوم عودة وقد تحدثنا كثيرا عن نشاطها في هذا الباب •

والى اللغة الايطالية ترجم في سنة ١٩٤٥ كتاب أهل الكهف واعيد طبعه في سنة ١٩٦٢ وفي نفس العام نقل الى هذه اللغة كتاب بيت النمل وبعد ذلك بعامين نقـل اليها ايضا كتاب السلطان الحائر لنفس المؤلف ومـن اشهر المستشرقين الذين عملوا على ترجمة هذه الكتب ونشرها بالايطالية سرتزتانو امبرتو وقد كان استاذا في جامعة عين شمس وتحدثنا عنه أكثر من مرة كذلك قام نفس هذا المستشرق بترجمة كتاب تحت عنوان مسرحيات الحكيم ونشر بعض هذه المسرحيات في مجلة الشـرق الحديث بالايطالية سنة ١٩٤٣ •

ومن اللغات التي نقلت اليها كتب الحكيم اللغـة الاسبانية حيث نقل اليها في سنة ١٩٤٨ كتاب يوميات نائب في الارياف وكتاب أهل الكهف سنة ١٩٤٦ م• وكتاب بين يوم وليلة في سنة ١٩٦٣ م• وكتاب انشودة الموت سنة ١٩٥٣ م• واشهر المستشرقـين الاسبان الذين عنوا بهذه الناحية هو المستشرق اميليو جارتيا جوميت المولود سنة ١٩٠٥ في مدينة مدريـد وتخرج في جامعتها وهو الان استاذ العربية فيها • وله عدة نشاطات مشكورة في ميدان نقل الادب العربـي الحديث منها على سبيل المثال الايام لطه حسين ومـن كتب توفيق الحكيم التي نقلت الى الالمانية كتاب يوميات نائب في الارياف وهو اشهر الكتب عند القاريء الاجنبي وتم نقله اليها سنة ١٩٦١ • كذلك نقلت مؤلفات توفيق الحكيم او بعض منها الى اللغات التالية وهي :

السويدية وقد نقل اليها كتاب عودة الروح سنة ١٩٥٥م• وكذلك الرومانية حيث نقل اليها نفس الكتاب الانف الذكر سنة ١٩٦٢ واشهر مستشرق سويدي عني بالادب العربي هو موبيرج المتوفي سنة ١٩٥٦ •

المويلحي :

لم يشتهر هذا الاديب بعمل ادبي بارز سوى قصته ان جاز ان ندعوها كذلك ونعني بها حديث عيسى بن هشام التي كتبها المؤلف على شكل رحلة تهدف الـى الاصلاح والنقد الاجتماعي هذه الرواية ايضا نقلت الى بعض اللغات الاجنبية ، حيث نقلها الى الفرنسية سنة ١٩٤٤ المستشرق الفرنسي بيريس الذي كان استاذا في كلية الاداب بالجزائر • ثم ظهر لهذا الكتاب سنة ١٩٦٩ ترجمة اخرى في لايدن قام بها المستشرق الـن روجر •

امين الريحاني :

مؤرخ ورحالة اشتهر بكتابه ملوك العرب ـ ونتحدث عنه كنموذج خاص من نماذج الدراسات والمؤلفات العربية في العصر الحديث : حيث وضع عنه اكثر من مستشرق

دراسات مختلفة ومنهم من وضع تقييما لمؤلفاته كما فعل المستشرق الايطالي اتوري روسي سنة ١٩٤٠ م. ومستشرق ايطالي اخر هو رتزتانو الانف الذكر وضع ايضا دراسة مفصلة عن امين الريحاني ومؤلفاته وذلك عندما كان مدرسا في جامعة عين شمس في سنوات الاربعين من هذا القرن . كذلك فان المستشرق كراتشكوفسكي الذي تحدثنا عنه أكثر من مرة وضع بالروسية دراسة عن حياة الريحاني الذي كان على صداقة متينة معه ومع محمد علي وجرجي زيدان وغيره كما ترجم لامين الريحاني كتاب أشعار منثورة أما اخر بحث ومؤلف وضع عن الريحاني فكان بالروسية ليوسويوف سنة ١٩٥٨ م.

هذا ونود قبل ان ننهي حديثنا هذا عن هذه الرحلة الادبية ان نرد للقارىء أمثلة اخرى عن احدث المؤلفات الادبية التي لقيت بسرعة فائقة طريقها الى اللغات الاجنبية وادابها ومنها ما يلي :

أ- كتاب الارض للشرقاوي وقد نقله الى الانجليزية الاستاذ دسموند ستيوارت ونشره في لندن سنة ١٩٦٢ كما نقلت هذه الرواية الى اللغة التشيكية في حوالي سنة ١٩٥٥ وقام بالترجمة المستشرق التشيكي ايفان هربيك.

ب- الرجل الذي اضاع ظله للاستاذ فتحي غانم وهي قصة في اربعة اجزاء وقد نقلها الى الانجليزية نفس المستشرق ديسموند ستيوارت ونشر الترجمة في لندن سنة ١٩٦٦ .

ج- المصابيح الزرق حنامينا نقله الى الروسية المستشرق كوشنيروف سنة ١٩٥٨ ونفس المستشرق كان قد ترجم مجموعة قصص لكتاب من مصر دعاها مكان على الارض .

د- غصن الزيتون تاليف محمد عبد الحليم عبد الله نقلت هذه الرواية الى الروسية سنة ١٩٥٨ م. ونقلها ايضا الى اللغة الاسبانية المستشرق مارثينت مونتافيت سنة ١٩٦٠ م .

هـ - رد قلبي ليوسف السباعي نقلها الى الروسية يوريسوف سنة ١٩٥٨ كذلك عرفت اللغة الروسية ترجمات لقصة ابي الريش وقصة جنينة ناميش تاليف يوسف السباعي منذ سنة ١٩٥٧ .

و- دماء من طين تاليف يحيى حقي . نقلت الى الروسية سنة ١٩٥٨ .

ز- انا احيا تاليف ليلى بعلبكي نقلها المستشرق ميخائيل باريوت الى الفرنسية سنة ١٩٦١ .

وهكذا رأينا صررة موجزة لرحلة الادب العربي الحديث على اختلاف الوانه وفنونه الى الغات الاوروبية بعد ان اطلعنا ايضا على صورة من صور اهتمام الاستشراق بشكل عام في هذا الادب الحديث ودنياه الواسعة . وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه الصورة ليست بصورة كاملة لرحلة هذا الادب الحديث كما انها لا تضم كل مؤلف نقل الى اللغات الاجنبية وانما هي تقديم لامثلة متنوعة من اعمال الترجمة التي تمت حتى الان في ميدان الادب والمؤلفات الحديثه اما القديمة منها فهي اوسع من ان يحيط بها مجلد كامل .

الانتظار - تتمة

تحطيم قفل على باب مغلق ... (ياخذ الشاب بتهديد الرجل بكلتا يديه) .

يا من يعيش بين الطحالب والنفايات (يأخذ الرجل في التراجع) لن تصل اليها أبدا ولو عشت قرونا أخرى ... هي تمنح جمالها لرجال حقيقيين . (الشاب يقفز على الرجل ، ويطرحه أرضا ثم يأخذ في خنقه ، تسمع أصوات تشبه الترانيم الدينية من ناحية القصر .. وفجأة تفتح البوابة الكبيرة ويخرج من القصر مشيعون يحملون نعشا ، وتحيط النعش بضعة فتيات جميلات يلبسن اللباس الابيض الطويل .. الرجال يلبسون أيضا لباسا موحدا كلباس حراس القصور ... الشاب يبتعد عن الرجل بوجوم .. الرجل يصحو قليلا ويرتفع برأسه ناظرا الى النعش وهو يتحسس عنقه . المشيعون يخرجون من المسرح.. والاثنان يتابعانهما بعيونهما ..

- ستار -

يعقوب يهوشواع

المجلات الادبية في القدس

[الصحافة العربية في البلاد في مطلع القرن الحالي (٨)]

هناك عدة محاولات أجريت قبل نشوب الحرب الاولى لتأسيس منابر ادبية ، وكذلك في فترة الانتداب، لكن دونما نجاح يذكر . ذلك لان فلسطين كانت تتزود دائما من النشاطات الادبية في البلدان العربية المجاورة، وكان من الصعوبة بمكان أن يحاول الادباء المحليون الوقوف في وجه التيار الآتي منها مجتاحا الاسواق الادبية في القدس وحيفا ويافا ونابلس .

ورغم كل هذا فقد أجريت ، كما ذكرنا ، عدة محاولات لمعالجة المشاكل التي شغلت الرأي العام في البلاد بعد اعلان الدستور العثماني - وهو من أهم الاحداث التي اشغلت الشرق الاوسط في العقد الاول من هذا القرن . وسنتحدث في هذا المقال عن مجلتين ادبيتين صدرتا في القدس .

«الأصمعي» (١)

صدر العدد الاول من هذه المجلة في الثاني من ايلول سنة ١٩٠٨ ، وقد ظهر منها أحد عشر عددا في مدة خمسة أشهر ونصف . وتقول جريدة «القدس» (العدد ٨٤ ، السنة الاولى ، في ١ و ١٤ ايلول ١٩٠٩) أن العددين الاخيرين صدرا بعد سفر **حنا عبد الله العيسى**، صاحب المجلة ، الى الاستانة مندوبا عن يافا في الوفد العربي الارثوذكسي ، في كانون الاول سنة ١٩٠٩ ، فقد كان واحدا من أنشط العاملين لنيل حقوق الطائفة. وقد توفي حنا العيسى في الحادي والثلاثين من آب ١٩٠٩ .

ويستدل من مذكرات خليل السكاكيني **«كذا أنا يا دنيا»** (اعدتها للطبع هالة السكاكيني، المطبعة التجارية، القدس ١٩٥٥ ، ص ٣٧) انه اشترك ايضا في تحرير مجلة «الأصمعي» (١٩٠٨/٩/١٢ ، راجع مجلة «الشرق» ، شباط ١٩٧٢ ، ص ٢٧) .

واذا استعرضنا المواضيع التي كانت تعالجها مجلة «الأصمعي» نجد انها لا تختلف كثيرا عن تلك التي عالجتها الجرائد المحلية الصادرة في تلك الفترة . ففي افتتاحية العدد الاول يقول المحرر معلقا على اعلان الدستور :

الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات الى النور ومن علينا بان أطلق السنتنا في القول بعد أن كاد يقضي عليها بالتعقيد لطول احتباسها وراء الثنايا والشفاه ، ومكن ايدينا من العمل بعد أن مرت عليها السنون وهي مكبلة بالاصفاد حتى كادت تورثها الشلل فلم يكن الا طرفة عين حتى أصبحنا طليقي الايادي والالسنة فوجب علينا والحالة هذه ان أول ما نبدأ باستعمال هذه الاعضاء في حمد الله وعمل ما يرضيه ومن ثم في السعي وراء كل ما هو نافع للانسان والانسانية والوطن والوطنية وتوطيد دعائم القومية وتمكين روابط الجنسية وكل ذلك لا يتأتى للفرد كما لا يتأتى للجماعة ولا تناله الجماعة الا بالاتحاد والتعاضد ولا يتم الاتحاد الا اذا أقرت الجماعة على حقيقة راهنة تؤدي للمصلحة العامة وهذه الحقيقة لا تظهر الا باحتكاك الافكار ومواصلة البحث والتنقيب بين سطور ما خطته ايدي المتقدمين والمتأخرين ، فالحقيقة بنت البحث.

ثم ينتقل المحرر الى الحديث عن المدارس الاجنبية التي تأسست في البلاد ، وهو لا ينكر فضلها ، لكنه يطالب باقامة المدرسة الوطنية التي يتعلم فيها أبناء جميع الطوائف ليعلم الجيل الناشيء ان الامة واحدة دون فرق بين يهودي ومسلم ومسيحي . ثم يتعرض لمشكلة تعليم المرأة ، المشكلة التي كانت في رأس اهتمامات الرأي العام في تلك الفترة ، فيطالب بتعليم المرأة كي تستطيع تربية أولادها ومشاركة زوجها الرأي والافكار والتحدث مع ضيوفها في المواضيع المختلفة .

وقد كانت المجلة تفتتح في كل عدد بباب المباحثات حيث تعالج ، من وجهة نظر المحرر ، المواضيع المناط

(١) هو الاديب العباسي المتوفى سنة ٨٣١ . والمجلة «مقول للمباحثات والملاحظات والاخبار ، يصدر في اول ومنتصف كل شهر لصاحبه حنا عبدالله عيسى ، مطبعة جرجي حبيب حنانيا في القدس».

بها «اصلاح الوطن» · فهكذا مثلا نستطيع ان نطلع على طريقة عمل البلديات في تلك الفترة من خلال مقاله في الموضوع فهو يقول ان القرارات كانت تصاغ وتبعث الى عضو المجلس البلدي في بيته أو لدكانه أو لقهوته كي يصادق عليها ، وهو يدعو الى اتخاذ جميع القرارات ضمن جدران المجلس البلدي ·

وهو يقسم المهاجرين الاغراب الى قسمين : أولئك الذين قدموا الى البلاد لدوافع دينية ، وأولئك الذين قدموا لانهم طردوا من مسقط رأسهم · وهو يتهم الموظفين الذين ساعدوا القسم الثاني في شراء الاراضي بالخيانة ، لكنه يذكر بشيء من الاعجاب النشاط الذي ابداه هؤلاء المهاجرون في استيطان البلاد ، وهو يدعو السكان الى التعلم منهم · ومع انه لم يشر الى من يقصد بهؤلاء المهاجرين فان الامر واضح ·

وقد دعى فيما دعى الى اقامة مدرسة زراعية ، فهو يعزو تأخر الزراعة في البلاد الى نظام «المشاع» الذي كان متبعا حينئذ وفي رأيه أن الحل في تقسيم الاراضي على الفلاحين بطريقة «الافراز» · ويناشد اصحاب الاموال تأسيس بنوك لاقراض الفلاحين ، ودعم حركة تأسيس المدارس الوطنية ومعاهد المعلمين العليا ·

وواضح مما ذكر اعلاه اننا لا نستطيع تسمية «الأصمعي» مجلة ادبية بكل معنى الكلمة · فقد كانت المجلة بحق ، كما أراد لها صاحبها أن تكون ، «مقولا للمباحثات والملاحظات والاخبار» عن شؤون حياة العرب في البلاد ومتاعبهم وهمومهم بعد اعلان الدستور العثماني · ومن المشاكل التي عالجتها المجلة ايضا مشكلة الصراع بين الطائفة العربية الارثوذكسية وبين المجلسي الملي ·

لم يكن عدد الكاتبين في المجلة كبيرا ، ومن بينهم خليل السكاكيني واسعاف النشاشيبي والانسة منانا الصيداوي ·

وقد توفي حنا عبدالله العيسى كما ذكرنا يوم الحادي والثلاثين من آب سنة ١٩٠٩ ، فخصصت له جريدة «القدس» عددها الصادر في الغد كاملا وصدرت صفحاتها جميعا موشحة بالسواد · وهي تذكر ان انشغاله بالمسائل الطائفية لم يمكنه من متابعة اصدار المجلة ، وكذلك اصابته بالمرض ، فقد توفي اثر اجراء عملية جراحية له في القدس· والجريدة تصف باسهاب موكب الجنازة والوفود الغفيرة التي اتت لتشييع الفقيد من جميع انحاء البلاد · وكان من ضمن المؤبنين اسعاف النشاشيبي واسكندر الخوري ·

«المنهل» (٢)

صدر العدد الاول من هذه المجلة في القدس سنة ١٩١٢ وكان قد انشأها **محمد موسى المغربي** صاحب «المنادي» (راجع «الشرق» ، نيسان ١٩٧٢ ، ص ١٦ – ١٧) ، وكانت هذه المجلة ادبية وبحق ، وداومت على الصدور سنة واحدة فقط ·

وفي مقاله الافتتاحي للعدد الاول يقول محمد موسى المغربي عن مجلته :

> ننشئها للاديب وطالب الادب وما يتخيل لنا الا انهما سيقفان بين سطورها على ما يزيدانه من مادة ادبهما ويضمانه الى ما ساعدهما الجد على تحصيله ··· ولا ندخر قوة في اعزاز مقام الامة العربية المذلة وترقيتها ورفع آدابها المنحطة وتنميتها ·

ومن بين الادباء الذين ساهموا في الكتابة لهذه المجلة نذكر : اسعاف النشاشيبي ، حبيب الخوري ، خليل السكاكيني ، عارف العارف والشيخ علي الريماوي · وكانت معظم المقالات التي تنشر فيها تبحث في مواضيع اسلامية تاريخية ·

ونشير هنا خاصة الى المقال الذي كتبه أديب فرحات في العدد العاشر عن اسباب فشل الصحافة العربية في الشرق · فهو يذهب الى أن فتح ابواب الجرائد أمام كل من يعتقد انه اديب أو عالم، واستخدام الصحف من قبل اصحابها كسلاح في صراعاتهم الشخصية – من الاسباب التي أدت للفشل · وهو يدعو الى الارتفاع عن الاهواء الشخصية والى خدمة المجتمع العربي ، ويطلب من الكتاب استعمال الاسلوب السهل كي تفهم عامة الشعب ما يريد قوله ·

ومن المواد البارزة كانت قصائد الشيخ علي الريماوي المطولة التي ضمنها دعوة للاتحاد والعلم ، وللدفاع عن الوطن ·

(٢) «مجلة ادبية تاريخية اجتماعية مصورة عند الاقتضاء · تصدر مرة في الشهر بالقدس الشريف ، لمنشئها محمد موسى المغربي ، طبعت بمطبعة المنادي» · العدد الاول في شهر رمضان سنة ١٣٣١ ، ٤٠ صفحة ·

نجيب محفوظ

تحقيق

قصة

دق جرس الباب . انفصل جسدهما في حركة متشنجة بالفزع . وثبا الى ملابسهما وهو يهمس .

— قلت انك لاتتوقعين قدوم احد ..

فقالت هامسة ايضا

— لعله الكواء ..

وكان يرتدي ملابسه بيديه وقدمية ويقول

— يجب ان استعد للاختفاء ولكن اين ؟

— لا اظن انك ستضطر الى ذلك واذا وقع المستحيل فادخل تحت السرير .

.. وغادرت الحجرة وهي تحبك الروب حولها ثم ردت الباب . نظر الى اسفل السرير ولكنه مضى بخفة الى ما وراء الباب يتصنت . سمع صوت الباب وهو يفتح ، ثم وهو يغلق ، ووقع قدمين ثقيلتين في لحظات خاطفة توارى تحت السرير . من القادم ؟ ليس الزوج والا لجاء الى حجرة النوم ليخلع ملابسه . ليس الزوج على وجه اليقين فقد اتصلت به تليفونيا في الاسكندرية منذ ساعة واحدة انه فيما يبدو من المترددين على البيت بل هو من اهل البيت على نحو ما والا ما اقتحمه في هذه الساعة من الليل . لبد في مكمنه يمزقه القلق والاحساس بالنكد بعد ان ثمل بدفء اللذة . وليصبر فسيذهب عاجلا ، لا يمكن ان تطول الزيارة الى ما لا نهاية ، وسينتهي بالتالي عذابه . انقضت عليه فكرة كحشرة طائرة ، الا يحتمل ان يدخل القادم حجرة النوم فيرى زجاجة الكونياك وعلبة الشيكولاته ؟ . هل يزحف الى الخارج ليعود بالزجاجة والعلبة ؟. لكنه لم يتحرك ، لم يجد الجرأة الكافية ، واطبقت عليه التعاسة اكثر فاكثر . ومضى الوقت وطال وثقل . تلهى بالنظر الى نقوش السجادة والوانها وقد اختلطت وغامت تحت نور الاباجورة الاحمر الخافت ، والى ارجل المقاعد والشيفونيره المغروزة في وبر السجادة . وارتعد لسماع صوت طارىء ، ثم رأى باب الحجرة وهو يفتح في هدوء . دخل شخص بلا ريب ، ها هو حذاؤه الابيض ذو السطح البني وطرف بنطلونه . واتجه يسارا نحو الصوان ففتحه . وقف امامه دقيقة او دقيقتين ولكن اين لطيفة ؟ واغلق الصوان ثم مضى نحو الباب في هدوء كما جاء . ترى ما معنى ذلك ؟ ومتى يخرج من زنزانته ؟ واشتد به التوتر والارهاق واليأس . خيل اليه انه وقع في شرك وان يدا حديدية تمتد للقبض عليه وان قدميه تندسان في حذاء ابيض ذي سطح بني ، وان عليه ان يرسم خطة كاملة للتملص من مأزقه او زنزانته . وقال له صوت باطني يضطرم بالرعب والالهام ان نجاته رهن بقوة خياله ، وانها وحدها القادرة على تحويل الكابوس الى حلم وهو لن يبقى تحت السرير الى الابد في هذا الصمت العميق العجيب . انه يمد ذراعه لينظر في الساعة ، ويخرج رأسه في حذر كالسلحفاة ليتنفس هواء نقيا بعض الشيء . ويرهف السمع فيجد هدوءا مخيفا ولكنه لا يشجع على مغادرة الزنزانة كان الموت يربض في الظلام مجمدا كل حركة مسكنا كل صوت . وارهقه التعب لحد التهور . وتجمعت كل قواه المضمحلة في وثبة جنونية للدفاع عن النفس في مغامرة مرتجلة يائسة

* * *

طلع الصبح دون ان يغمض له جفن . سمع دقات رقيقه على باب حجرته . وجاءه صوت محشرج هاتفا

— سي عمرو ، اصح ..

ما اجدر ان يتغيب اليوم بعذر ما ولكنه نبذ الفكرة بلا تردد قائلا لنفسه «هو الجنون بعينه» ، وصاح

— صحيت يا ام سمعة !

ولما جلس الى المائدة الصغيرة في الصالة رأى طبق المدمس وقدح الشاي باللبن والرغيف المحمر فمد يده الى القدح وهو يقول :

— ساكتفي بالشاي ..

فلم يفصح وجه العجوز عن تعبير وجه ذي سحنة واحدة . ولكنها قالت

— كل لقمة تسند قلبك ..

المنظر المرعب لا يبرح مخيلته . يعذبه ويطارده . بقوة تركبه وتدفعه بلا حذر . نسي زجاجة الكونياك وعلبة الشيكولاته فلم يذكرهما الا في ظلام حجرته . ارتدى ملابسه وغادر الشقه حمل الارض فوق رأسه . ابتاع جريدة الصباح وهو يخترق شارع القبة بالجيزة ولكنه قال لنفسه

«لم يكتشف شيء بعد» . واخيرا وجد نفسه جالسا الى مكتبه بالادارة . وجاء الرئيس في اعقابه وامتلات المكاتب الا واحدا . ونظر الى المكتب الخالي بعين متلصصة وهو يقع فيما امامه على الجانب الاخر للحجرة . وشرع في العمل وهو يختلس النظر. اذا تمت له النجاة فسيحزن عليها طويلا اما الان فلا وقت لديه للحزن. وتساءل الرئيس :

ــ ست لطيفة لم تحضر ، الم تعتذر؟

ولما لم يسمع جوابا عاد يقول :

ــ الموظفات اعذارهن لا تنتهي .

واثار قوله ضحكات على سبيل التشفي او الملق . لم يشترك في الضحك . تساءل فيما بينه وبين نفسه ترى الم يلاحظ احد شيئا مما كان يتبادل في صمت بينه وبين المكتب الخالي ؟ . ربما ادلى شاهد بملاحظة عابرة تقلب دنياه راسا على عقب . او يكون اخر راهما في احد منعطفات شارع الهرم . ثم انه نسى هناك زجاجة الكونياك وعلبة الشيكولاته . اي اسرار يمكن ان تبوح بها الزجاجة والعلبة ؟ . ان كل شيء ينطق امام شياطين المحققين ويخلق الاساطير . وغير بعيد ان يكون قد نسى اشياء اخرى . وبصماته انطبعت بلا حساب ولا حذر . وربما وقع المحققون في الشرك واغمضوا العين عن القاتل الحقيقي .

وجاء صوت الرئيس وهو يقول بصوت امر رنان .

ــ يا سيد عمرو ، ساحول اليك الاوراق العاجلة الداخلة في اختصاص ست لطيفة. لماذا اختاره هو بالذات؟ ربما لانه احدث الموظفين عهدا بالوظيفة . ام تراه يعني شيئا وراء ذلك ؟ انه قصير ماكر ذو نظرات تحتانية فهل يعني شيئا اخر حقا ؟! واسترق نظرة من الوجوه ليرى اثر الامر الاداري ولكنه لم يقرأ شيئا . كل شيء هادىء وعادي . والقاتل مجهول فما معنى الخوف ؟ . وكان يصارع التشتت والتمزق عندما سمع صوتا غريبا يسأل بادب .

ــ هل الست لطيفة موظفة في هذه الادارة ؟

فاجاب موظف

ــ اجل ولكنها لم تحضر اليوم .

فنظر الى القادم باهتمام فراى شابا طويلا نحيلا غامق السمرة يرتدي قميصا ازرق وبنطلونا رماديا ، سرعان ما غادر الحجرة على اثر الاجابة التي تلقاها . لم يسأله احد عن هويته ولم يعلن هو عنها ونسي تماما بمجرد اختفائه . فكر فيه طويلا وساورته مخاوف شتى . وتجسدت لمخيلته الجثة ربما للمرة الالف . وتذكر كيف انهزم لدى رؤيتها ففر كالمجنون . غرق في افكاره ثم صحا بعد وقت لا يمكن تحديده على حديث يدور حول حذاء ابيض ارتعد قلبه . ماذا يقولون ؟ احدهم يقول ان الاحذية البيضاء باتت نادرة الاستعمال فقال اخر ان الحذاء يعجبه ، فعاد الاول يقول انه يتسخ لاوهى الاسباب ويصعب تنظيفه وتلميعه بسبب سطحه البني . اشتدت به الرعدة فتساءل .

ــ ما حكاية الحذاء ؟

فاجاب الموظف الاول

ــ حذاء ابيض ذو سطح بني من النوع الكلاسيكي ، رأيناه في قدمي الشاب الذي جاء يسأل عن لطيفة .

ــ لا !

ندت عنه بعصبيه لافته للانتباه وهو يتهاوى في انهيار كامل . ولما شعر بالاعين المحدقة فيه قال :

اسف ، الظاهر اني اصبت بالانفلونزا !

وضحك ضحكة عالية لا تناسب المقام . ولم يستطع صبرا فسأل الموظف الاخر

ــ أكان الشاب ينتعل حذاء أبيض ذا سطح بني ؟

ــ اجل ، وهو يعجبني ، هذه هي المسألة .

واستاذن في الذهاب الى دورة المياه ولكنه اندفع في الطرق الموصلة الى الباب الخارجي . ودار دورة عشوائية حول مبنى الوزارة ولكنه لم يعثر للشاب على اثر . ولبث مذهولا وهو يقول لنفسه : هكذا تقع الاحداث التي نسمع عنها من بعيد دون مبالاة .

* * *

احتلت الحادثة مكانها في صفحة الحوادث . قرا بعناية وانتباه كامل . بدات بملاحظة عابرة من البواب لباب شقة المقاول حسنين جودة الذي لم يكن مغلقا كعادته وانتهت باكتشاف جثة زوجة المقاول الموظفة . اتصل بشرطة النجدة تبين ان المراة خنقت بينما كان زوجها في رحلة تجارية بالاسكندرية . لم تكتشف سرقة . عثر على زجاجة كونياك وعلبة شيكولاته ، وطبعا التحقيق ماض في طريقه الى الكشف عن اسرارالجريمة والقبض على القاتل. وجد الموظفين واجمين والجو مشحونا باخبار الجريمة وتاوهاتها . ثمة حسرة ورثاء ، وتساءل عن بواعث الجريمة ، وعن معنى وجود

الكونياك والشيكولاته في غياب الزوج وقال احدهم

ـ كل شيء مفهوم ولكن لم قتلها

اجل لم قتلها ؟ • وقعت الواقعة في مجال تنفسه وهو لايفقه لها معنى ليس الواقع كما يتصورون **وسوف يندفعون جميعا كالسكارى في طريق الضلال ليرتكبوا جريمة اخرى• وقد جاءهم صاحب الحذاء بقدميه ولكنهم يتساءلون عن صاحب الخمر والشيكولاته • هو وحده يتشوق لمعرفته وكشف سره المغلق فلعله يعثر عليه في الجنازة • بل يجب ان يعثر عليه في الجنازة كما يقضي به المنطق • وذهب ممتلئا بالتصميم بقدر ما هو ممتلىء بالشجن وتفحص بعين ثاقبة اهل الفقيدة من المستقبلين رأى الزوج الذي يوشك ان يصرعه المرض ، ورأى اخرين ، ولكنه لم يعثر لضالته الماكره على اثر • وسار وراء النعش وهو يختلس اليه النظر بقلب منقبض • وكاد الى حين ينسى مخاوفه تحت موجة الحزن التي غمرته • وتذكر قصة حبه القصيرة العقيمة التي مضت في عناء ولم تخلف الا التعاسة والرعب •**

* * *

من هو صاحب الحذاء الابيض ؟• هل راه البواب ليلة الجريمة وهل يعرفه ؟ • اما هو فقد راه البواب ، ولما ساله عن مقصده اخبره انه ذاهب الى طبيب الاسنان بالدور الثالث ، والى العيادة ذهب فعلا للكشف والتنظيف تنفيذا لتدبير حكيم اتفق عليه مع الفقيدة ، فمن تلك الناحية لا خوف عليه •

وقال موظف بالادارة بعد ان فرغ من قراءة الجريدة

ـ الامور تتضح ، فالزوج مريض جدا وله مطلقة انجب منها شابا وشابة جامعيين ، والعلاقة بينه وبين اسرته الاولى سيئة جدا ••

فقال ثان

ـ واذن فيهم اسرته الاصلية التخلص من الزوجة الجديدة قبل ان تستولي على اموال ابيهم ••

وتساءل ثالث

ـ هل من علاقة بين ابن المقاول وبين الخمر والشيكولاته ؟

فقال الاول

ـ لن يفوت المحقق شيء من ذلك•

فقال رابع

ـ سيصلون اليه عن طريق الزجاجة والعلبة ••

فقال عمرو وهو يداري حنقه

ـ توجد الاف الزجاجات والاف العلب

ـ ولكن العلبة تدل على الدكان والدكان يدل على الشاري ، وقد يعثرون على لفافة الزجاجة فيعرف المخزن او المحل ••

ـ ثم يعرض الشاب او المتهم على عمال المحل والمخزن •

جميع الادلة متوفرة اذا تركزت الشبهات في الزجاجة والعلبة • فكر في ذلك طويلا وقلبه يغوص في اعماق من الكابة وعاد الموظف الاول يقول

ـ الامر واضح ، ابن المقاول انشأ علاقة مع المرحومة ثم قتلها ••

لعل ذلك كذلك ، او لعل القاتل هو صاحب الحذاء الابيض ، او لعل ابن المقاول هو صاحب الحذاء الابيض ان صح احتمال من تلك الاحتمالات فقد نجا هو من كل سوء ، كما ينبغي له ، اما اذا اصر المحقق على تتبع اثر صاحب الخمر والشيكولاته فلن يعجز عن الوصول الى مصدريهما ، وهو ـ عمرو ـ معروف بشخصه دون هويته لدى صاحب محل «الزهرة» كما هو معروف عند فتاة حلواني «الف ليلة» ، وغير بعيد ان اوصافه تردد في هذه اللحظة على الشفاه بين جدران حجرة التحقيق •

* * *

ونشرت صور لطيفة وحسنين زوجها ومحمد ابنه لاول مرة في الجريدة • وتبين لعمرو ان ابن المقاول شخص اخر غير الشاب صاحب الحذاء الابيض • وتابع تعليقات الموظفين بالادارة باهتمام وتركيز

ـ تقول الجريدة ان الشرطة عثرت على خيوط يمكن ان تؤدي الى القاتل•

ـ لعلها تقصد الشاب ابن المقاول؟

ـ او الزجاجة والعلبة ؟

ـ سر الجريمة كامن في الزجاجة••

ورفع الرئيس راسه عن رسالة كان يقراها بامعان ثم قال

ـ ياجماعة ، نحن مطلوبون جميعا لسماع اقوالنا •••

* * *

شهد كل موظف بما يعلمه ولم يكن ذا بال ، مثل تاريخ التحاق لطيفة بالعمل منذ عشرة اعوام ، وزواجها منذ عامين وشهد لها الرئيس بحسن السير والسلوك والمعاملة ، وبانها كانت موظفة ممتازة • ولكن الفراش ـ عم سليمان ـ ادلى بواقعة مهمة فقال انه راها مرة بصحبة شاب قبيل زواجها هو نفس الشاب الذي جاء الادارة صباح الجريمة سائلا عنها • واكد الجميع واقعة الزيارة

الصباحية واعطوا اوصافا تقريبية للشخص • واهتم المحقق بالواقعة بطبيعة الحال • ولما دعي عمرو لاخذ اقواله عن الشخص المجهول وصفه بدقة ملحوظة ، طوله وحجمه ولونه وملابسه حتى الحذاء ، فقال له المحقق :

ـ يبدو انك تفحصته بعناية !

فتضايق عمرو من الملاحظة ولكنه قال بثبات

ـ كان يقف امامي مباشرة ••

وكان يشعر طيلة الوقت بضيق وتوتر فزادته الملاحظة ضيقا وتوترا• وضاعف من همه ماذاع في حجرة المحقق من انه ثبت ان ابن المقاول كان في رحلة جامعية ليلة الجريمة ، وان الشبهات تبددت بالتالي ـ من حوله ••

* * *

تقمص دماغ المحقق فطارد نفسه بنفسه • من الشاب الذي رآه عم سليمان مع الفقيدة ولم زار مكتبها صباح ارتكاب الجريمة ؟ محتمل ان يكون صاحب الخمر والشيكولاته او يكون شخصا اخر لا علاقة له بالجريمة • السر قابع وراء الزجاجة والعلبة • فلنتخيل القصة من بدايتها عندما بدات بغرام • انتهز العاشقان فرصة سفر الزوج فتواعدا في بيت الزوجية • وفي الموعد المضروب تسلل الشاب الى العمارة • يسير التسلل الى عمارة ضخمة بها اكثر من عيادة طبية وها هو يجالسها كما يفعل العشاق • كيف ومتى سيطرت فكرة القتل؟ انها لاتخلق بغته وبلا مقدمات ربما جاء بها جاهزة معه • وغير بعيد ان تنشا عقب خلاف طاريء او اثر ميل من المراة نحو انهاء العلاقة • لعله شاب غر ومحب حتى الجنون وقع في هوى امراة طموح لاحد لطموحها فتزوجت من المقاول وابقت على علاقة الشاب بها لتستحوذ على المال والجاه والحب فكرهها بقدر ما احبها ولما قالت له بدلال وهي تلاطفه «اخنقني» طوق عنقها بقبضتيه وشد بكل عنف فلم يتركها الا جثة هامدة• ارتكب جريمته ثم هرب ولكنه نسي وراءه الزجاجة والعلبة سيظل مهددا بان تراه فتاة حلواني الف ليلة او صاحب محل «الزهور» او يساق اليهما في ظرف ما فيتعرفان عليه • ويتضح انه زميل للفقيدة في ادارة واحدة فتقوى الشبهة وتتوطد • واذا اعترف بانه صاحب الزجاجة والعلبة ، وبانه كان عشيق المراة • فاي قوة يمكن ان تدفع عنه التهمة او تنقذه من حبل المشنقة مهما انكر واصر على الانكار ؟!

* * *

من الحكمة ان يكمل علاجه عند طبيب الاسنان • ها هو الطريق مرة اخرى وها هي العمارة • ترى اما زال حسنين جودة يشغل العمارة ؟ وجد البواب فوق الاريكة وراء الباب مباشرة • انه صعيدي فيما يبدو ، ويلف سيجارة • مضى الى الداخل فقام الرجل وتبعه • دخل المصعد وراءه فقال باقتضاب :

ـ الدكتور نصر طبيب الاسنان •

وهو يغادر المصعد في الدور الثالث حانت منه نظرة الى الارض فراى حذاء البواب فارتعدت مفاصله • حذاء ابيض ذو سطح بني ! مضى الى العيادة بذهن مشتت • ايكون البواب هو القاتل ؟ • ولكنه يذكر تماما انه رأى الحذاء تحت طرفي بنطلون لا جلباب • ام يكون البصر قد خدعه ؟! وغرق في ذهوله حتى دعي الى حجرة الكشف •

جلس وهو يتساءل •

ـهل ينتهي التنظيف في هذه الجلسة ؟

فقال الطبيب

ـ اراك نافذ الصبر ••

فساله

ـما اخبار الجريمة ؟

ـ اه •• تلك المراة ! ، كنت اعرفها جيدا فقد حضرت مع زوجها عندي لتركيب ضرسين له !

ـ كانت زميلتي في المكتب •

ـ حقا ؟!

وندم على ثرثرته امام الطبيب فقال

ـ عم خليل التمرجي اعتقد انه رأى القاتل •

ـ حقا ؟

ـ انه يسكن في حجرة فوق السطح وكان يمر امام شقة القتيلة عندما رأى رجلا يغادرها ••

ـ اراه جيدا ؟

ـ لا ادري ••

ـ كان يجب ان يدلي بشهادته ••

ـ وقد فعل ••

من الذي راه التمرجي؟ ولاي درجة تمكن من رؤيته ؟ • هل ساوره شك من ناحيته ؟!

* * *

وكان يغادر باب الوزارة عندما شعر بشخص يلاحقه فالتفت وراءه فرأى عم سليمان الفراش • نظر اليه متسائلا فقال الرجل

ـ عمرو بك ، الحق اني لم اشهد في التحقيق بكل ما اعرف !

فرمقه في دهشه فقال الرجل

ـ كتمت شهادة لو سمعها المحقق لاتعب الابرياء بلا موجب •

ـ ماذا تعني ؟

فقال الرجل وهو يبالغ في الادب

ـ رأيت حضرتك يوما وانت تقبل المرحومة في المصعد !

فهتف

– ماذا تقول ؟

– رايتك وانت تقبلها .

خذلته اعضاؤه في الواقع ولكنه تماسك بقوة فوق طاقة البشر وقال :

– انت اعمى بلا شك .

– كتمتها خشية ان تدفع بك الى مواطن الشبهات !

فهتف

– انت اعمى !

فتراجع الرجل قائلا

– لا مؤاخذة يا بك ، ما قصدت سوءا قط ..

فتراجع بدوره قائلا

– انك على اي حال تستحق الشكر

فقال الرجل وهو يمضي

– الشكر لله .

انه يتمزق اربا . لا امان ولا سلام لا قدرة على تحمل مزيد من العذاب

* * *

قال عمرو

– لاخبر عن الجريمة في الجرائد

فقال موظف

– اكبر الاحداث يشغل الصحف اياما ثم يختفي كان لم يكن .

وقال اخر

– في رأيي ان النيابة هي التي منعت النشر .

فسال عمرو

– لماذا ؟

– هكذا يتصرفون اذا اكتشفوا حقائق يجب اخفاؤها عن القاتل .

وشعر بنظرات تلسع وجهه فالتفت بالغريزة ناحيتهافالتقت عيناه بعيني عم سليمان وهو يحمل القهوة للرئيس . جن بالقهر دقيقة ثم تساءل متى وكيف يشرع في ابتزاز امواله ؟! . ثلاثة تمنى ان يتخلص منهم ، فتاة الحلواني وصاحب محل الزهرة وعم سليمان ، تمنى ان يتخلص منهم ليتغلب على الارق الذي احتل لياليه المضنية . وتتابعت المعجزات فصدمت سيارة ثقل الفتاة الجميلة ، وقتل صاحب محل الزهرة في معركة غادرة مع احد العمال ، اما عم سليمان فقد مات فجاة وهو يعمل في المقصف . ولم يكن يتذوق قطرة من الراحة حتى دهمه صوت الرئيس يقول .

– متى تبدأ العمل يا سيد عمرو؟!

* * *

وهبطت عليه فكرة من السماء . اوحت اليه بان البواب ليس بالمالك المناسب للحذاء الابيض . الحذاء لا يناسبه لا من الناحية الذوقية ولا من الناحية الاقتصادية الارجح ان يكون قد تلقاه هدية .. فمن هو المهدي ومتى اهداه اليه ؟ لعلها فكرة لا تقوم على واقع ولكنها جديرة بالاختبار ومضى لتوه قاصدا عيادة الاسنان . وفي المصعد قال للبواب.

– حذاؤك جميل !

نظر اليه الرجل نظرة جامدة ولم يعلق فعاد يساله ...

– جاهز ام تفصيل ؟

اجاب الرجل

– ممكن تفصل حذاء مثله عند امين علما بممر الديلي ..

هي اجابة وتخلص من الاجابة معا قوى سوء الظن به . وكان ممر الديلمي قريبا ، ودكان الاسكافي في مطلعة على اليمين . حيا الرجل وقال

– اريد تفصيل حذاء ابيض ذي سطح بني .

فاجلسه الرجل على كرسي من القش المجدول وراح يسجل مقاسات قدميه . وفي اثناء ذلك قال له

– رأيت حذاء مثله في قدمي بواب العمارة رقم ١١ شارع ٢٦ يوليو فاعجبني وهو الذي دلني عليك .

فقال الرجل بهدوء

– ليس بين زبائني بواب ؟

فخفق قلب عمرو سرورا بسلامة تفكيره وقال

– لعله اخذه هبة من احد زبائنك

– يمكن ..

– هل الطلب كثير على هذا النوع

– من النادر ان يطلبه احد ، وطلبك هذا هو الثالث من نوعه في العامين الاخيرين ..

فساله باهتمام متصاعد

– والاخرين من اي طبقة ؟

– احدهما قارىء قرآن والاخر ..

وتردد تردد من خانته الذاكره فانحنى فوق دفتر متهرىء وفر صفحاته بسرعة وعمرو ينظر من فوق كتفه . وقال الثاني

– حسام فيظي .. غالبا موظف .. لا يوجد في الدفتر الا العنوان .. وغادر الدكان وهو يحفظ العنوان عن ظهر قلب !

* * *

انبعث الهام في صدره بانه سيرى القاتل وانه سيجد فيه نفس الشخص الذي اقتحم الادارة صباح ليلة لجريمة . وما عليه بعد ذلك الا ان يقابل المحقق ليعترف بين يديه بكل شيء ، او الافضل ان يحرر اليه رسالة متضمنة لكافة التفاصيل وكان البيت يقع في شارع المتولي بمنشية البكري ، وهو شارع سكني نصف مساكنه عمارات حديثة

والنصف الاخر بيوت قديمة من دور ودورين ، وليس به من محال عامة سوى فرن وكواء ، فهو شارع يشعر الغريب الطارىء بغربته ، مر امام البيت عصرا فراى في الشرفة فتاة فوق العشرين ودون الخامسة والعشرين ، اخذ منظرها بلبه فحلم بسعادة الحياة الزوجية واستقرارها الهانيء • قديما اسرته لطيفة بحيويتها وعذوبتها الجنسية وتعلقها الجنوني به لدوافع قدرية مجهولة ، اما هذه الفتاة فمثال كامل للرزانة والحياء والصبر والخلق المتين • وهي زوجة القاتل ولعلها اخته • ولاحظ أن في دكان الكواء امراة قميئة عوراء تتابعه باهتمام، واستنتج من سلوكها انها صاحبة الدكان فاقبل نحوها ـ اكتسابا للوقت ـ وسالها عن بيت حسام فيظي فاشارت الى البيت تتفحصه بخبث بعينها اليسرى ،

ـ وتلك اخته التي تجلس في الشرفة •

لعلها ظنت انه يحوم حول الفتاة فشكرها وهم بالذهاب فقالت المراة

ـ أسرة طيبة

فوافق بانحناءة من رأسه فسالته

ـ هل تعرفهم ؟

فاجاب بالنفي ، واقتنع في ذات الوقت بأن المراة تقوم بدور الخاطبة وحدثته عن حسام ودولت ، وابدت استعدادا طيبا لتقديم اي خدمة شريفة • وقالت له بغتة وهي تغمز بعينها •

ـ ها هو حسام ذاهبا الى المقهى

•• التفت عمرو وقلبه يدق بعنف •

ولكنه راى رجلا لم يسبق له رؤيته • مفى بدينا انيقا فاقع البياض غزير الشارب لايمت بصلة للرجل الذي يبحث عنه • انهارت تقديراته وخاب مسعاه • وادرك ان البواب مادله على عم امين علما الا باعتباره اقرب اسكافي ، اما سر حذائه هو فما زال احتمال ان يكون هدية قائما ، وغير مستحيل في النهاية ان يكون صاحبه •

ورجع الى النقطة التي منها بدأ •

* * *

لو تنكشف تلك الغمة فيملا رئتيه بالهواء النقي بعمق وتوبة ، وبعزم جاد على اكمال نصف دينه بالاقتران من دولت فيظي ! لقد تجنب الاقتراب من شوارع برمنها كما يتجنب عيني عم سليمان • وثمة نسيان جاحد يسدل اهدابه على لطيفة ومآساتها ، وهو الوحيد الذي يحترق في خفاء بذكرياتها • وفكر ثم فكر ، وكتب رسالة مطولة للمحقق استهلها بقوله

«انا صاحب الخمر والشكولاته ، واليك الشهادة الوحيدة التي تنفعك»

كتبها بعناية ودقة وحشدها بالتفاصيل ولكنه لم يوقع عليها بامضائه • ولم يرسلها ، اجل ذلك حتى يستوفي التفكير في كافة وجوهها واحتمالاتها وقال لنفسه انه لن يذوق للراحة طعما حتى يلقى القبض على القاتل •وتساءل اي بواعث يا ترى دفعته الى قتلها بعد ماثبت من انه لم تكتشف سرقة وراء الجريمة ؟ اما كان الاجدر ان يقتلها هو ـ عمرو ـ وقد توفرت لديه لذلك اسباب واسباب ؟ كان يمقتها بقدر ما كان يحبها ، ولم يغفر لها نهمها الجنوني للمال والسلطان وتضحيتها به في سبيل ذلك • وكان يشد عليها بقوة وهي بين ذراعيه رغبة وحنقا • على اي حال يجوز له ان يمني النفس بحياة زوجية سعيدة مع دولت فيظي حتى تنكشف الغمة تماما وتهدا اعاصير الوجود • وذهب من فوره الى العمارة المشؤومة ليكمل علاج اسنانه • وانتهز فرصة هبوط المصعد فصعد الى الدور الرابع بقوة لا تقاوم • وجد المصباح فوق باب شقة المقاول مضاء • فتح الباب فظهر المقاول وهو يوسع لضيف فتوارى عمرو في نهاية الطرقه وسمع حوارا بينهما فقال المقاول :

ـ لاتنسى عيد الاضحى •

فاجاب الرجل

ـ كل عام وحضرتكم بخير

فقال المقاول

ـ سنذبح هذا العام بقرة

فقال الرجل

ـ ونصنع من جلدها حذاء كلاسيكيا •

فخفق قلب عمرو وشعر بانه قريب من النصر اكثر مما يتصور وخرج الضيف فافلتت من عمرو صيحة فوز • راى امامه غريمه دون سواه • القاتل المجهول المحوط بالاسرار • وانقض عليه كالوحش وقبض على ذراعيه وهو يصيح •

ـ انت القاتل !

وذعر الرجل واختفى المقاول مغلقا الباب فضاعف ذلك من وحدة الرجل الغريب •

وهتف :

ـ اي قاتل ؟

فلطمه بقوة هدامة وصاح به :

ـ اعترف ؟

فتمتم الاخر بصوت كالانين :

ـ رحماك !

ـ انت الذي قتلت دولت فيظي!

وفطن الى هفوة لسانه اما الاخر فلم يفطن ، وانهار تماما فقال :

ـ اعترف .. ولكن لا تضربني .. فدفعه امامه وهو قابض على ذراعه بوحشية .

* * *

وفكر طويلا في موضوع الرسالة دون حسم . وهداه تفكيره الى وجوب كتابتها على الة كاتبة ما دام مصرا على اخفاء امضائه ـ وبالتالي شخصه ـ اذ ليس من حسن الفطنة ان يرسل خطه الى المحقق . وامتنع بذلك لحد انه عزم على شراء الة كاتبة صونا للسرية اللازمة . وكان يتخبط في فراغ مخيف بين صمت الصحف وعيني عم سليمان حتى اعتقد ان بقاءه في المدينة الكبيرة حمق ما بعده حمق ولكن اين المفر ؟!

وقال له عم سليمان مرة وهو يقدم له القهوة .

ـ لست على ما يرام يا استاذ عمرو

فغل دمه لظنه انه يطبق عليه الحصار ولكنه قال ببرود وهو يكبح انفعالاته المتطايرة ..

ـ بخير والحمد لله ..

واشترى في ذات يوم الالة الكاتبة ـ وهو اسف ـ لارتفاع ثمنها . ما اجدره بالتوفير ، لا بالتبذير ما دامت فكرة الزواج من دولت تغزو خياله بسحرها . نظر الى حذائه الابيض ذي السطح البني وابتسم فهو لا ينسى انه كان المناسبة التي هيأت له التعرف بحسام فيظي وبالتالي بمنية القلب دولت . فما كاد الرجل يغادر دكان عم امين علما حتى قال له عمرو

ـ فصل لي حذاء مثل حذائه .

فابتسم الرجل وقال :

ـ ندر في ايامنا الاقبال على هذا الصنف رغم فخامته .

فتردد عمرو قليلا ثم ساله :

ـ من الرجل ؟

ـ حسام فيظي ، موظف ، لاادري في اي وزارة رغم انه زبون قديم مثل حضرتك !

ـ ومن الفتاة ؟

ـ اخته ، اسمها دولت .

ـ لعلك تعرف عنوانه ؟

فضحك وقال :

ـ ١٤ شارع المتولي بمنشية البكري . فحق له ان يأسف لشراء الة كاتبة ، ولكنه اشتراها على اي حال . وكتب عليها رسالته المثيرة ، ثم عنونها ، ثم اودعها صندوق البريد .

عند ذلك شعر بنوع من الراحة لاول مرة .

وكان عاكفا على عمله بالادارة عندما طرق اذنيه صوت وهو يسال قائلا :

ـ اين الست لطيفة ؟

رفع رأسه بقوة وفزع فرأى امامه الشاب المجهول الذي اقتحم الادارة غداة ليلة الجريمة . واحدث ظهوره المفاجيء دهشة عامة اما سؤاله فاذهلهم . وتكهرب عمرو من الرأس الى القدم . ها هو الشيطان الخفي ، حتى الحذاء لم يغيره .. اين كان ولماذا جاء ، وماذا يعني سؤاله ؟ وفي لحظات اغلق عم سليمان باب الحجرة ووقف وراءه متحفزا اما الرئيس فسأل القادم :

ـ من انت ؟

فتجاهل سؤاله وعاد يسال :

ـ اين الست لطيفة ؟

ـ ولم تسأل عنها ؟

ـ ذاك امر يعنيها وحدها .

ـ ولكن من انت ؟

ـ فاجاب بحياء :

ـ لااهمية لذلك .

ـ الم تسمع بما وقع للست لطيفة؟

ـ خير ان شاء الله ؟

ـ لم لم تزرها في بيتها ؟

ـ لا علم لي بمكانه !

ـ الم تعرف بانها قتلت منذ عشرة ايام ؟

فارتسم الذهول في وجهه وتمتم :

ـ قتلت !؟

ـ الم تقرأ الصحف ؟

ـ أنا لا أقرأ الصحف .

ـ على اي حال فالمحقق يرغب في مقابلتك .

انا ؟ لماذا ؟

ـ طبيعي ان يرغب في استجواب جميع من كانت لهم علاقة بالفقيدة .

صمت الرجل مليا حتى افاق بعض الشيء من وقع الخبر ثم قال بهدوء :

ـ اني على تمام الاستعداد للقائه .

* * *

ها هو الشبح . ها هو الحلم . جاء يسعى على حذائه الابيض اي قاتل ، واي مناورة يلعب بها ! . وقد استدعى عم سليمان للمواجهة ، ومن عم سليمان علمت الادارة بانباء الرجل . علمت بانه يدعى محمود الغر وانه سواق تاكسي . وقد تعاقدت الفقيدة معه ـ قبيل زواجها بعام ـ لا ستغلال تاكسي تملكه . وحرصت من بادىء الامر على سرية الموضوع لكونها موظفة من ناحية ولانها اخفت صفقة التاكسي عن اهلها حتى لا تسأل عن مصدر المال الذي ابتاعته به ، فكانت تلقى السائق في الجراج ، وظل الرجل على جهله بمسكنها ولكنها دلته على

عملها ليهتدي اليها في الطوارئ • ولما وقع الطارئ ذهب للقائها في الادارة صباح ليلة الجريمة ، فلما لم يجدها اضطر للتصرف بمفرده فسافر باسرة عربية الى الاسكندرية ولبث في خدمتها هناك حوالي الاسبوع او اكثر • وانتظرها في ميعاد اللقاء المعتاد ولكنها لم تحضر فذهب الى الادارة مرة اخرى لمقابلتها • وتم التحقق من اقواله واختبرت بصماته ثم افرج عنه !

دار رأس عمرو • ها هي الامور تتعقد كما لم تجر له في حسبان • وها هو ينحدر في تيه • وشد ماندم على ارسال رسالته المذهلة • ولكن واقعة التاكسي حقيقة لا شك فيها • استيقظت في وجدانه الالام الغافية • الم يقل لها بصراحة «اني احتقر تصرفاتك» ؟ وكيف استجابت ؟ •• قالت برزانة مرعبة •

ـ ليكن رايك ما يكون ولكنك تحبني !

فقال بحنق :

ـ تبيعين نفسك لوحش بسيارة !

ـ ولكنك تحبني ؟

فصمت صمتا ذا مغزى لا يخفى فضحكت وقالت :

ـ لا تغتم بتصرفاتي ولا بزواجي نفسه ما دام قلبي لك وحدك •

وقال لنفسه بانه قضى على قلبه بان ينقسم الى قسمين ، تلك العذابات الجهنمية ، التي لم تقتلع من وجدانه تماما حتى وهما يذوبان في ضوء الاباجور الاحمر • واستقر حذاء ابيض ذو سطح بني على السجادة بين الصوان والخوان الحامل للزجاجة والعلبة ، وتموجت تهاويل غشاء الجدران الورقي ، وتفشت في الجوهينمات منسالة من كون مجهول ، وتخطت الذروة عندما راحت تغازل يديه بنشوة جنونية وتقول له بدلال «اخنقني» •

* * *

ودخلت ام سمعة الشرفة وهو وحيد يستجدي نسمة من ليل الصيف وقالت له

ـ ضيوف على الباب

فسالها : تعرفينهم ؟

ـ كلا، قالوا افتحي فجئت لاخبرك

فتح شراعة الباب فرأى وجها لم يره من قبل فغاص قلبه • فتح الباب مستسلما فدخل الرجل وتبعه ثلاثة اندفع الثلاثة يفتشون وقال له الرجل •

ـ معذرة ، تفتيش لا بد منه ، هاك امر النيابة !

فسأل بصوت ضعيف :

ـ عم تفتشون ؟

ـ الة كاتبة ••

جيء بالالة فتفحصها الضابط وقال:

ـ هي التي كتبت عليها الرساله

وبسط امام عينيه الرسالة التي تطوع بارسالها وساله :

ـ رسالتك ؟

فقال يائسا :

ـ لا علم لي بشيء مما تتحدث عنه

ـ متى اشتريت هذه الالة ؟

ـ اشتريتها ولم اسرقها ولست مطالبا بتفسير سلوكي !

ـ ستعرض انت على عمال المحلين اللذين اشتريت منهما زجاجة الكونياك وعلبة الشيكولاته ، فهل انت مصر على الانكار ؟ ، ولم تصر على الانكار ما دمت بريئا ؟

وفي سيارة الشرطة سال الضابط عما جعله يشك في امره فيفتش مسكنه ولكن الرجل ابتسم ولم يجب وفطن عمرو الى الخطأ الذي ارتكبه بارسال الرسالة ، فان كتابتها على الالة الكاتبة توحي بخوف كاتبها من الاهتداء اليه بمعرفة خطه ، مما يرجح معه ان خطه غير بعيد عن متناول التحقيق ، ومما يثير ـ بالتالي ـ الشبهات حول المتصلين بالفقيدة ومن بينهم زملاؤها في الادارة • هكذا استوجب خطاه تفتيش مسكنه ـ ضمن مساكن الاخرين ـ وهكذا تم العثور على الالة الكاتبة ، وعرف صاحب الرسالة والزجاجة والعلبة •

وقال :

ـ ولكني بريء وكل كلمة في الرسالة صادقة •

فقال الضابط ببرود :

ـ علمنا من بادىء الامر بعلاقتك بالقتيلة !

فاعترضت مخيلته الممزقة صورة عم سليمان ولكنه قال :

ـ اعترفت بذلك في الرسالة ولكني بريء •••

فقال الضابط بغموض :

واعجبني خيالك !

فقال دون ان يتمعن قوله :

ـ واطلقتم المجرم الحقيقي !

ـ جميع من اشتبهت بهم ابرياء

فتساءل بانكار :

ـ فمن القاتل اذن ؟

فاجاب الرجل بهدوء وثقة :

ـ لم يبق الا انت !

[عن الاهرام ٧١/١٢/٢٤]

عبد الرحمن عباد

الضمير المستتر والرقم السابع عشر

قصـــة

اه ما اجملها ..

انها تشرب بلا توقف ، دون ان تفقد سيطرتها على اعصابها ، فها هي تحدث المعجبين بلا انفعال .

سوف تكون ضيفتي هذه الليلة ، وسوف نقضي ليلة ممتعة ، ممتعة للغاية كلون عينيك ايتها الصغيرة .

سادعوها الى كاس على طاولتي

جرسون .. جرسون

ما اسم هذه الفتاة التي تجلس على المقعد هناك .. قل لها ان المهندس انا يدعوها الى طاولته ، هيا ـ وخذ هذه لك ،

يمد الجرسون يده ويتناول بضعة قروش من يد المهندس ثم يدسها في جيبه ويتجه ناحية المقعد الذي تجلس عليه الفتاة .

ـ مساء الخير مودمازيل ماري .. الاستاذ نقيب المهندسين يدعوك لتناول كاس على طاولته ، ثم يهمس في اذنها ببضع كلمات غير مسموعة فتغادر مقعدها على الفور بعد ان لوحت بيدها للمعجبين ومن ثم تتوجه ناحية المهندس وابتسامتها تملا عينيها .

ـ اهلا . اهلا وسهلا .. تفضلي .. انا المهندس محمود يوسف

ـتشرفنا يا استاذ ،، لقد قرأت عن مشروعك العظيم لتعمير الصحراء هل توصلت الى نتائج ايجابية ..؟

ـ ان المشروع لا يزال سرا ولكن ماذا نفعل لصحافة اليوم التي تفضح كل شيء ولا تبقي على مخفي الا حاولت اظهاره ، ومع هذا فان النتائج الاولية للابحاث تظهر تقدما ملموسا . وانشاء الله سوف تشاهد في القريب العاجل غابات السرو قد غطت جبالنا الجرداء وصحارينا الواسعة ، ولكن ارجو ان لا تكوني انت الاخرى عاملة في الصحافة ..

ـ لا ابدا لكنني اتمنى ان تحاولوا زراعة اشجار مثمرة بدلا من السرو والصنوبر

ـ نحن نجري تجاربنا للاستفادة من الاراضي البور الصحراوية في زراعة جميع الاشجار ، بما في ذلك الاشجار المثمرة ، وقد نجحنا بعض الشيء في تطويع ذرات التربة بحيث تتعايش مع بذور وجذور هذه الاشجار

ـ وهل تساعدك الدولة في هذا المشروع ام انك تقوم باعداد التجارب على نفقتك الخاصة ؟

ـ ان الدولة تساهم باكثر من نصف الاموالو تسهل لنا جميع معاملاتنا من شراء اجهزة واسمدة ومواد كيماوية .

ـ واين تنوي تطبيق تجاربك الاولى

ـ لا اعرف بالضبط لكنها ستكون في مكان قريب من هنا حتى تسهل علينا المواصلات واذا احببت رؤيتها فلن تكون بعيدة ، ولكن بدون الات تصوير .. ها ها

ـ وهل تعتقد ان هذه التجارب صالحة لمعظم الاتربة في بلادنا !

ـ انك تسالين وكانك خبيرة في هذا الميدان ،

ـ انني طالبة في السنة الثانية الجامعية قسم الزراعة .. او هكذا كنت

ـ اذن على الانسان ان يحترس امام هذه ال «او هكذا كنت»

ـ ابدا فانا لست على درجة كبيرة من الذكاء ، فقد قررت ترك الجامعة الى غير رجعة

ـ والالتحاق بمهنة الصحافة لايقاع اصحاب النوايا الطيبة من امثالي في شباكك

ـ ها ها ها ابدا فانا بدون عمل الان ولن اعود الى الجامعة

ـ انا اعترض .. فانت شابة في بداية عمرك والمستقبل امامك يفتح لك ذراعيه وما عليك الا ان تعانقيه لتجدي نفسك في اكمل سعادة

ـ ياعيني على الغزل ،، يبدو انك تحب نظم الشعر احيانا فتحلق في الخيال فاين هو المستقبل الذي تتحدث

عنه ، واين هي الوظائف التي تسر الخاطر انظر امامك ، ستشاهد ان الجامعة والجامعيين اصبحوا يملأون الطرقات فاذا وجد احدهم وظيفة عض باسنانه عليها واصبحت له برذعة فيما بعد انني اريد الحرية ، اريد ان لا اكون موظفة يشخط بي الصغير والكبير اريد ان اكون هكذا ‥ طليقة ، افعل ما اشاء في اي وقت اشاء وبالطريقة التي ارغب لا كساعة الحائط التي تتحكم في حركات الموظف وسكناته ثم يأتي بعد ذلك المرتب الشهري يقتر عليه من نزازته ‥ اسمع يا استاذ لقد طلقت الكتب منذ اسبوعين طلقة بائنة لا رجعة فيها ولا بمستحيل ولن تكون في حاجة الي بعد ذلك ولن تنتظرني بعد اليوم ، كما انني من جانبي لن انتظر محاضرات الاستاذ طبعت ام لم تطبع ، فدعني هكذا اغني مع شوقي ، (الامتحان) ولى فهاتها يا ساقي ٠)

ـ يا سلام ‥ (مشتاقة تسعى الى مشتاق) ‥ انت رائعة بالفعل ‥ اتمنى ان تكون كل فتياتنا مثلك هكذا ‥ يفعلن كل شيء دون خوف ، فالتحرر من الخوف هو اول خطوة سليمة نحو التقدم ‥ وانني احمد الله انني اشاهد اليوم فتياتنا يتحدثن هذا الحديث المنطقي المعقول اشربي نخب انتصار قضية الحرية في بلادنا ٠

ترفع كاسها ثم تسكبه دفعة واحدة في جوفها بينما ترتفع يد المهندس لتسكب لها كأسا اخر

ـ اشربي فان الويسكي اعظم انجاز قدمته البشرية على طول تاريخها

ـ ان له نكهة غريبة ٠ فانا لم اكن اتذوقه عندما كنت في المدرسة الثانوية

ـ يا خسارة شبابك ، لقد ضيعت نصف عمرك اذن ‥ هاك كاسا اخرى لتعوضي مافات

ـ لا ‥ لا كفى فقد بدأ راسي يدور

ـ يجب ان يدور ، فالدنيا كلها تدور والكواكب كلها تدور وذلك حتى يستحق ان يكون راسا ‥ هيا اشربي ‥ ام انك سكرت ؟

ـ لا ، لم اسكر وليس مهما ان اسكر فانا مستعدة ان اشرب حتى يصيح الديك ٠

ـ ولكن الا تشعرين ان الجلوس هنا يجلب الشبهة والملل ٠

ـ انا لا تهمني الشبهة يا استاذ ، فانا مسؤولة عن نفسي وليس لاحد ان يحاسبني ، اما الملل ‥ فحياتنا كلها مملة

ـ وهل تنوين المبيت هنا ؟

ـ لا فانا لا ازال اسكن مع زميلتي في الدراسة ، في نفس المنزل

ـ يا للهول ‥ وهل تعلم ماذا تفعلين ؟!

ـ طبعا فانا اخبرها بكل شيء

ـ وهل تظنينها تسكت عنك الى الابد

ـ وما دخلها بي

ـ لا لم اقصد ‥ اعني هل تقبل السكوت عليك الى ما لا نهاية ‥ ام انها ستخبر اهلك ٠

ـ وما دخل اهلي في القضية ، فلم اعد اطالبهم بالمال ، ثم انني لست صغيرة حتى يفرضوا وصايتهم علي ‥ اتفهم ‥!

ـ انني افهم ذلك لكنهم لن يفهموه هم ٠

ـ لا يهمني فهموه ام لم يفهموا ‥!

ـ وهل اخبرتهم انك انقطعت عن الدراسة ؟

ـ لا لم اخبرهم لكن زميلتي أقسمت بشرف أمها سوف تكتب لهم حول هذا الموضوع وقد هددتني فوق ذلك بالطرد من المنزل تصور ، !

ـ والان ما رأيك ‥؟

ـ في ماذا ؟

ـ في رحلة قصيرة بسيارتي ٠

ـ بشرط أن أزور مختبرك ٠

ـ انت عفريتة ، ومن يضمن لي انك لن تفشي اسراره ٠؟

ـ انت

ـ لا بد انك تنوين ارسالي الى المشنقة ، ومع هذا سأطلعك ‥ تفضلي

* * *

ـ والان ما رايك في هذه الفيلة

ـ اهي لك

ـ نعم هدية من احدى شركات المقاولة

ـ وهل تقوم باجراء ابحاثك بداخلها

ـ لا بالطبع فالابحاث اجريها في المختبر ‥ انظري ‥ هل تشاهدين ذلك القبو ‥ انه هناك ٠

ـ ياه انه رائع في هذا المكان الخالي ،، ولكن الا تشعـــر بالوحدة هنا

ـ بالعكس ٠٠ فانا اشعر بمنتهى السعادة داخل مختبري ، انني أنسى الدنيا كلها هنا ، فالعمل ممتع داخل المختبر

ـ ليتني استطيع مساعدتك

ـ اذن كوني من اليوم مساعدة لي ولنشرب نخب ذلك ، هل استطيع الحصول على قبلة ،

يمد يده الى خاصرتها ثم يسيران

ـ كم اتمنى لو نعيش العمر هكذا يا ٠٠٠ ما اسمك

ـ ماري

ـ ما ادم هذا الاسم ٠٠ انا ال ٠٠

ـ اعرف ٠٠ اعرف المهندس محمود يوسف المحسود

ـ لا ، هذا ليس اسما لجدي ٠

ـ المحسود من جميع المهندسين

ـ لكنني احسدك ، احسدك فعلا ، فانا لم اقابل طيلة حياتي فتاة في مثل جمالك ٠٠ (ثم استدرك قائلا) بل لم اقابل فتاة على الاطلاق ٠٠ كل وقتي في المختبر بين الاتربة والحصى والكيماويات بودي ان انســـى نفسي لحظة ، ان اشرب حتى اقع على قفاي فلا اجـــد من يحملني ، ولا استطيع ان افعل ذلك الا هنا ، لكنني اخشى عليك انت ٠٠ فانت بعد صغيرة ٠٠

ـ لسانك يا استاذ ٠٠ فانا عندي عشرون سنة ٠٠ نعم عشرون سنة الا يوما واحدا ٠٠ اي ان غدا هـــو عيد ميلادي ٠٠

ـ يا للصدفة الجميلة ، انها لفرصة رائعة ان نحتفل الليلة بهذه المناسبة هيا بنا الى البار ، سوف نسهر حتى الفجر ، هيا ٠٠ اعطني هذه الذراع الجميلة ،

يتأبط ذراعها ثم يتجه ناحية البار حيث يخرج قنينة كبيرة من الويسكي ويأخذ في تفريغ محتوياتها بينهما حتى تثقل اجفانها فيحملها الى سريره

* * *

قاعة المحكمة تضج بالزائرين من قضاة ومحامين وشهود ومجرمين ، وقاضي المحكمة لم يزل متغيبا عن الجلسة ، وكذلك محامي المتهم وشهود الادعاء فقد وردت للمحكمة برقية مستعجلة من الاعلى ـ من السلطات ـ تأمر بالتريث ريثما يصل مبعوث خاص من المحكمة وذلك لحساسية القضية ومسها بمشكلة تهم السلامة الوطنية والامن ٠٠

والكل في انتظار المبعوث الذي لا يعرف عن مهمته احد ٠

القاضي والادعاء العام والمحامي ، كلهم صامتون

ـ الى متى هذا الانتظار ٠٠! فالمتهم حاضر والشهود حاضرون وكذلك المحامي ، !

انني لا اعرف لماذا تريد الحكومـــة تأخير هـــذه القضية ٠؟

قال ذلك القاضي وهو ينظر الى وجه المحامي يحاول استطلاع السبب ،

يبدو على المحامي انه هو الاخر لا يعرف السبب اذ انه لم يجد اجابة شافية للسؤال حيث قال ، لعلهم يريدون تحويلها الى محكمة خاصة

فيرد القاضي : لـكن أوراق القضية موجـودة في ملفات هذه المحكمة وليس من حق احد ان يتدخل في شؤون القضاء ٠

ـ على كل حال تريث ، فلا بد ان المبعوث قـــادم الان ، وهذا هو موعده ، اصغ ٠٠ فانني اسمع قرع خطوات قادمة من الممر ، سافتح الباب ، انه هو ٠٠ اليس كذلك ٠٠

ـ نعم لقد جئت بخصوص قضية المهندس محمود يوسف

ـ وما تعليمات السيادة

ـ ان الحكومة تود الاطلاع على الملف قبل المحكمة ، أقصد قبل اجراء المحاكمة لان لها رأيا في القضيـــة ، فالمهندس كما تعلمون ليس انسانا عاديا ٠

ـ ماذا تعني بانسان عادي وغير عادي ٠٠! انظر يا استاذ واقرأ ماذا كتب على باب المحكمة ٠

ـ هذا لا يعني انك تمانع في الاطلاع على الملف ٠!

ـ الملف ٠٠؟ وماذا تريد منه ، ؟ فالقضية تثبت ان مهندسكم مجرم يجب ان يأخذ جزاءه ٠

ـ ان احدا لا يستطيع اثبات التهمة عليه ما دمنا لا نريد ذلك ، افهمت ؟

ـ ولكن هناك شهود عيان يا استاذ يستطيعـــون اثبات ذلك ، واذا كنت راغبا في سماع اقوالهم فسوف استدعيهم الان لتستجوبهم بنفسك

ـ حسنا ارسل من يناديهم ٠٠ هل هم كثيرون ٠٠؟

ـ انهم اربعة حتى الان ، واخشى ان يكونوا الان في حديث شيق مع رجال الصحافة ٠٠ سأناديهم ،

يخرج القاضي من احد الابواب ثم يعود ومعه اربعة رجال لا يزالون بلباس العمل

ـ اقسموا ان تقولوا الحق ولا شيء غير الحق ٠٠

يجيب الرجال الاربعة بصوت واحد ٠٠ نقسم ،

وهنا يبدأ القاضي باستجواب الرجل الاول

ـ قل ٠٠ ماذا شاهدت باختصار ؟

ـ لقد طلب الي المهندس قبل حوالي سنة ان احضر عدة حفر على شكل احواض في الصحراء ليجري تجاربه عليها ، لانه ينوي عمل اختبارات لمشروعه الذي تعرفونه ، وقد فعلت ٠٠ ثم تكرر هذا الطلب بعد شهرين تقريبا ، وحدث بعد ذلك عدة مرات على فترات متباينة ، وكان لا يسمح لاحد بالاقتراب من الاحواض ابدا كي لا يفسد التجارب ، غير انني شككت في سلامة نيته لانه كان يطمر بعض هذه الاحواض بينما يستعمل الاخرى ، فانتهزت فرصة غيابه مرة ونبشت احد الاحواض المطمورة فوجدت امرأة بداخله ٠٠ ففزعت وانتابتني المخاوف وقررت ان اعلم الشرطة ٠ا٠٠

القاضي ينادي على الشاهد الثاني ٠٠ انت ، قل ماذا رايت ؟

ـ لقد كان يفعل ذلك معي ، وعندما سألته مرة ٠٠ لماذا هذه الاحواض يا سعادة البيك

اجاب ٠٠

اذا كررت هذا السؤال مرة اخرى فسوف افصلك من العمل ، الا تعرف اننا نجري هذه التجارب بمنتهى السرية ٠٠!

وهنا تدخل المبعوث قائلا :

ـ هذه ادلة غير كافية لادانته ، فربما كان القاتل واحدا من هؤلاء الشهود ٠

ـ ربما ٠٠ لكن الجريمة الاخيرة تثبت ان المهندس هو الذي فعل كل ذلك بنفسه

ـ وهل هناك شهود على ذلك ٠؟

ـ بالطبع ، صاحبة الكباريه ، وكذلك الجرسون ، وبعض النزلاء ، كلهم شاهدوا ماري وهي تخرج ليلة الجريمة مع المهندس ، وبسيارته ، وبعد ذلك وجدت قتيلة في ٠٠ في حوض من احواض المهندس

ـ : هراء هل يصدق رجل عاقل مثلك ان يقوم مهندس ممتاز نظيف السمعة بهذه الجرائم ٠؟

ـ انني لا اكن عداوة لاحد ولم استورد كل هذه الاتهامات لالصقها به وهذه شهادة الطبيب تثبت بما لا يدع مجالا للشك بان الوفاة حصلت بسبب نوع خاص من المواد الكيماوية التي عثر التحقيق منها على بعض زجاجات داخل مختبر المهندس المحترم ٠٠!

ـ انني لا افهم ماذا تريد بكل اتهاماتك هذه ٠٠! خاصة وانت تعلم ان الدولة تعير مشروع المهندس اكبر الاهتمام مما يعود على ابناء الشعب بالخير والرفاهية وربما على ابناء الجنس البشري كله ، وانت تعلم ان بلادنا ليست صناعية ٠٠

ـ يا سيدي ان عواطفي معكم ، لكن واجبي احق بهذه العواطف ، فليست قاعة المحكمة مكانا لمناقشة خطة الدولة الخمسية والعشرية ، ان امامي جريمة قتل متعمدة راح ضحيتها سبع عشرة فتاة وجدت اجسادهن في الصحراء ، قتلهن رجل تمكن القضاء من معرفته ويجب ان ينال جزاءه

ـ اذن فانت لا تريد التعاون معنا ، ويؤسفني ان اقول لك بانني احمل تعليمات محددة يجب تنفيذها

ـ ولماذا تضعونني حاكما اذن ؟ ما دمتم ترسمون الاوامر وتصدرونها سلفا ٠٠؟

ـ القضية ليست عادية والرجل تحتاجه الدولة

ـ ولو كان مجرما

ـ ولو كان سفاحا

ـ اذن ما الفائدة من هذه المحاكمة ٠٠؟؟

ـ الاهتمام بالقضايا العادية ٠

ـ العادية ؟

ـ نعم ، التي لا تمس سلامة الدولة

ـ انك لن تفهمني يا سيدي ، فلقد اقسمت يمينا قبل ان ارتدي هذا الزي بان احافظ على العدل وان احكم بموجب القانون

ـ اعرف ذلك ، اما عندما تتعرض سمعة الدولة للخطر ، عندها لا بد من التضحية ٠

ـ التضحية بالعدالة ٠!

ـ العدالة مطلوبة ٠ لكن ليس في كل الاوقات

ـ يعني عليها ان تتبع نظاما معينا حسب الساعة ، وان تتلون كالحرباء اهذا ما تريد ٠٠؟

(التتمة على ص ٥٠)

مصطفى مرار

العاجــــز

قصــــة

القاعة الفسيحة الغارقة في شبه الظلمة تختنق بالضجة ‥ الاصوات أيضا سجينة ، تصطدم أمواجها بالسقف المرتفع قبل أن يتاح لها التسلل عبر قضبان النوافذ الملاصقة للسقف · صوت السجان يحاول ـ مستميتا ـ ان يعلو على بربرة السجناء ، الداخلين أو الخارجين من قاعة الطعام ‥

«السجاير !! اصطفاف !!»

نظر الى ذراعه البتراء لحظة ‥ اغمض عينيه ، في المانيا النازية ، في معسكر الاسرى ، كانوا يوزعون اللفائف · لم يتعلم التدخين في صغره ، وفشل في تعلمه أيام التدريب برغم انه كان يقدم الى المتطوعة كما يقدم الخبز واكثر كرما ، لكنه في الاسر ، ومنذ اللحظات الاولى لبتر ذراعه، أقبل على التدخين يفرغ فيه كل الم وتمزقه، حتى ليقضم اللفافة ، ويمضغ تبغها اذا تأخر من يشعلها لـه ‥

لا يشعر باية رغبة ، حتى في مراقبة الشرطي يوزعها الالم يعاوده كلما تعرض طرف ذراعه للبرد ·

تلك الدقائق كانت تسبق توزيع الاطباق التي تحمل وجبة الغداء الغليظة ، وما هي غير لحظات ، حتى امتلأ الممر الذي تحرسه القضبان الغليظة ، لكن بقي مكان ، مكان لواحـد ، وبقيت في الصندوق المعلق في كتف السجان أربع لفائف ، لم تمتد اليها يد ولم تطمع فيها عين ، كلهم يعرف انها ليست له ، وان صاحبها لا بد قادم ‥

الوقت ينقضي · دسها الشرطي في جيبه ، دخان رخيص ، سوف يرشو بها احد السجناء المقربين ليمسح له حذاءه او يزكيه امام زملائه السجناء ‥ السجناء أيضا يجدون من يطمع في رضاهم ·

لم يتقدم صاحب الحق الى لفائفه ‥ انه هناك ، عند الباب ، قد أسند ظهره كله ، وعيناه تتابعان في اهتمام ـ غير عادي ـ تلك الاطباق التي تحمل الوجبة الغليظة وهي تمرق متتابعة من فتحة في الحائط السميك ، فتتناولها أيد سمينة بيضاء طال ما تلطخ بعضها ـ أو اكثرها ـ بالدماء · شفتاه تتحركان ، ربما خيل للبعض انه يتلو صلاة شكر ، فكثيرون من السجناء يؤدون الفرائض ، ولا تفتر شفاههم عن التسبيح · لكن عينيه تتابعان كل حركة عبر الطاقة الضيقة · انه يعد الاطباق، تقدم فجأة اندس في الزحام حتى بلغ الطاقة الضيقة ، وافلتت من لسانه : «ستة وتسعون !!»

رمقته أعين كثيرة في شيء من عدم التصديق ، لكن لم يطل عجبها ، فلا وقت هناك للتفكير في الاخرين ·

وكأنما شعر هو بشيء من الخجل ، فانحط على أقرب مقعد ، وراح يلتهم ما حمل طبقه دون ان يبدو عليه انه يتذوق ما تمضغ اسنانه ‥

كانت هوايته التي ربما بلغت حد الهوس ، ان يجري كل يوم عمليات حسابية طويلة ومعقدة احيانا ، لكي يصل دائما الى الحل الصحيح :

«بقيت سبعة آلاف طبق !!»

«بقيت ستة آلاف وثمانمائة طبق !!»

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

«بقي الفا طبق !!»

اذا ما حاول أحد الزملاء ان يصحح ما اعتقد انه خطأ أعلن هو : «تهمتي ليست القتل أو السطو ‥ تهمتي لا تنطبق عليها تنزيلات الثلث ‥ حساباتي دائما صحيحة ، لكنهم يخطئونني ، حتى في طريقة تنفسي الهواء المباح لخلق الله جميعا ! الخلد في جوف الارض يتنفس ‥ ومدير السجن ايضا يتنفس الهواء ‥ نفس الهواء !!»

كان واضحا انه يعد الايام والسنوات التي بقيت على الافراج عنه ، كان يعدها بالاطباق التي تقدم ، فكلما تناول وجبة أعلن انه بقيت كذا أطباق · ولقد تراءت له في الاحلام ـ واحلام اليقظة ـ شاحنات المؤن التي يشترك في تفريغها ، وقد تحولت الى وجبات واطباق ، فائتت ـ أو آتي بها ـ على ما تبقى من أعوام‥ من أيام‥ من أطباق سجنه ‥

واليوم ٠٠ بقيت ستة وتسعون طبقا ٠٠ اثنان وثلاثون يوما ، ويتم الافراج عنه ٠

أين يذهب ؟! كيف يتصرف اذا ما خرج ؟

تدور اشاعة ، بل تعيش و ٠٠ تعشش في السجن ، بان الحياة في تلك الغابة ـ خارج القضبان ـ هي اسوأ مما تركها ، فالوحوش قد ازدادت شراسة ونهما ، والمخلوقات الضعيفة لا تجرؤ على الخروج من أوكارها ، وكثير منها لم يخرج، فهو بسبيل الانقراض٠٠ ان خرج من جحره الامين هذا فلسوف تتلقفه ايدي من أقاموا من أنفسهم حماة لامن القرية والقبيلة والبلد ، حيث لا قرية هناك ، ولا قبيلة ولا بلد ٠٠ انما هي اشلاء وحطام وبقايا ، كيده البتراء هذه التي قد تصلح ـ بل هي تصلح فعلا ـ للتسول والاستجداء ٠٠

ربما حدثته نفسه ذات يوم ٠٠ ذات طبق ، بانه يتحرق شوقا للعيش أياما من الحرية بين أولاده ٠٠

أولاده كلهم خارج السجن ، في بلاد الغربة ، منهم من تزوج ، ومنهم من ينتظر ٠٠ منذ زمن طويل لم يعودوا بحاجة اليه ، وحتى أولئك الذين نكبوا ، أو بانتظار ان ينكبوا في البيت أو الارض ، وهم ابدا عرضة للنكبات في أرضهم الحبلى بالهزات والبراكين ٠ هؤلاء لا يلبثون أن يروا الاعانات السخية تتدفق عليهم من أيد لا يرون أصحابها ، لكنهم يقرأون شعارهم واضحا ينضح بالاذلال ، صبغت به الشاحنات التي تفرغ اكداس المؤن والاغطية و٠٠ الابتسامات !!

وينسى المنكوبون ـ أو يتعلمون ان ينسوا ـ كل ما حل بهم ، فلا ينكأ منهم الجراح غير زلزلة جديدة ، أو كلمات براقة يقرأونها شعرا أو نثرا ، تحاول أن تغذيهم بما تحمله من احلام عن حياة النعيم التي تنتظرهم ، ان في الحياة أو في الموت ، لكنهم لا يتعلمون أبدا اصلاح ما خربته السيول والعواصف والاعاصير ٠

كان يطرد كل الافكار التي يقوده اليها تناقص عدد الاطباق ، فيهرب الى الماضي المقيت ، يشكو اليه حاضره المتفسخ ومستقبله القاتم ٠٠

لم يبق اذن ما يخرج من أجله ٠٠

لقد ضاع كل شيء ٠٠

في صغره أصيب بالتراخوما ٠٠ مازالت بصماتها الحمراء تصبغ جفونه الملتهبة التي هجرتها الرموش ٠٠

كان يلقب بالعاجز ، وهو الاسم المهذب «على قدر الامكان» والذي يطلقه أهل بلدته على الضرير عادة ، فكان ان أطلقوه عليه من باب التحبب أو الرثاء أو هما معا ٠٠

الناس في القرية لا يعجزهم ان يجدوا «البطل» ٠٠ القربان لكل نازلة تحل بهم ، لكنه أبدا ، هذا البطل٠٠ من بين من لايستطيعون للاتهام ردا، فهو البطل الضعيف يلقون على كتفيه مسئولية كل النوازل والنكبات ٠٠ حتى غضب الطبيعة الذي تاخذ سيوله ماشيتهم أو تهدم صواعقه بيوتهم ، يجدون له الوسيط الذي جلب عليهم كل غضب الله ٠٠٠ فالبطل هو الفاسق وان لم يظهر على امرأة عمره ، أو هو الفاتك الشرير وان كانت النملة تأكل عشاءه ٠٠

ورغم الايمان العميق بسطوة القضاء والقدر ، فلقد وقر في نفوس وعقول الجميع ان «العاجز» هو السبب ، ان لم يكن المبادر الى حرق والدته ، يوم اندلق عليها النفط وهي تشعل السراج الزيتي ٠ وقد وجد الوالد والزوج «الحزين» مخبئا أمينا وراء الجدار ٠٠ «البطل»! فسارع ٠ ولما تجف تربة الزوجة «الحبيبة» الى ٠٠٠ الزواج من ارملة تملأ الحضن والجيب معا ٠ وقد مضى كفيره يعير «العاجز» بجريمته حتى بدا ان الصغير قد اقتنع أو كاد ، بانه المسئول حقا عما وقع ، برغم ادراكه الواعي انه لم يكن بالحجرة ساعة اشتعال النار ، وان كان أول من صرخ يندب احب الناس ٠

واحيط بالفتى ٠٠ فسقط عند اقدام الوالد «الحزين» الذي القى على كتفيه ـ بالاضافة الى الشعور بالذنب ـ كل أعماله الفلحة ، وانثنى هو يتمتع بكومة اللحم الضخمة بين ذراعيه ٠٠

لم يكف الصبي الذي اصبح شابا عن التفكير في وسيلة للخلاص من اسر ابيه وقيلته ٠٠

فكر في الهرب ، فكر في التطوع ، لكنه كان يعود من كل ذلك بقلب كسير ٠٠

غيره من الفتية كانوا يقررون، حتى دون ان يفكروا٠٠

الرعاة يدخلون الاغنام في زرائبها ٠٠ والحراثون يتركون «الكابوسة» (١) ٠٠ حتى ابناء الفجر ، يلقون باسمالهم٠٠ ثم لا يلبثون ان يعودوا الى قراهم ومضاربهم بالحلل العسكرية التي تلهب حتى خيال الاطفال ٠٠ «هؤلاء السجانون ، وهؤلاء السجناء ٠ من من بينهم يستطيع الادعاء بانه ، أو ان اباه ، لم يكن راعيا أو

(١) يد المحراث ٠

حراثا ٠٠ وها هم أولاء يرغم بعضهـم على ان يحتـرم النظام ، بينما يدعي الاكثرون بطولات لم يأتوها ٠٠ وهم ــ مع ذلك كله ــ قادرون على أن يظهروا بمظهر المسيح المعذب ٠٠ وانا هنا قابع اعد الاطباق للخروج٠٠ ولكن الى أين ؟!»

لم يكن «العاجز» يعرف ان الجيش المحارب يتلقف حتى انصاف الاحياء لتوفير الوقود للمعارك الطاحنة التي تدور في كل بلاد الدنيا ، فكيف يرفضه وهو «الهرقل» الذي يدير فلحة كاملة ؟!

كان يستمع الى حديث احد المتطوعة الذي كان الى اسابيع قليلة خلت راعي غنم لا يعرف ثلث الثلاثة ، فاذا هو اليوم يتيه بالبزة العسكرية و «بالموسى الفقاس» ذي الحربة الاسطوانية الحادة ، يرفعه في الهواء ثم يهوى به على «النصبة» في دكان العم «ابو العبـد» ، فينغـرز النصل مع هتاف راعي الامس وجندي اليوم ٠

«اربع علب سردين ! ثلاث علب سجائر بلايرز ! اربع علب طاتلي (٢) تفاح !!»

لم يعد العاجز في اجازة كما يعود المتطوعة في فرق «البغص بالستاين»٠ لقد التحق أو الحق بقوة الـ R.E.C. التي لم تلبث بعد تدريب ثلاثة اسابيع أن حملت جوا وبحرا الى الجبهة الايطالية حيث تم اسره وفقد احد ذراعيه في أول معركة يخوضها ٠

وحتى بعد فقد ذراعه ، كان العاجز مازال مستعدا للعمل التظاهري تحت قيادة مهرج كبير ، بل جاسوس خطير ، اتخذ من التهريج تجارة ، ومن مئات الاسرى من بني جلدته ، مطية وستارا ، اسماها جيش الخلاص ٠٠ طويل العمر فقط من أفراد ذلك الجيش التعس من كتب له الخلاص من تحت انقاض «الرايخ» ٠٠

دقت الطبول لعودة «المحرر الاكبر» وتسابق الفرسان وتدافع حاملو الرايات واللافتات ابتهاجا بعودة المنقذ ابن المنقذ ، والذي حيكت حول تقواه وايثاره الاساطير٠

انهلت من عيون العابدين دموع الفرح ، وانطلقت من آلاف الحناجر ، الهتافات والزغاريد فرحـا وابتهاجـا بعودة الزعيم المظفر ٠

نفس هذا المهرج الكبير والجاسوس الخطير الـذي اخرجت تمثيلية خلاصه ــ من تحت انقاض الرايخ ــ ببراعة لا تجارى ، قد اعاد تنظيم جيش خلاص جديد ، وتدريب رجاله وتسليحهم ٠

وانضم اليهم في وطنهم آلاف المقاتلة الذين وعـدوا بالنصر من لدن زعيم خطير ، خاض ــ بذكائه وحنكته ــ اشرس المعارك في بلاد الغربة ٠

وسار الموكب المهيب على درب النصر المؤمل ــ في ركاب الزعيم الظافر ٠ ومن ثم بدىء بتنفيذ عملية قتلهم أو اسرهم ، أو سجن من تبقى منهم على مراحل زمنية ، بل تاريخية احكم التدبير لها في طريق عودة المهرج الكبير التي استغرقت بضعة وعشرين شهرا ٠

كان وصول ، أو كانت عودة «العاجز» ــ احد جنود جيش الخلاص ــ الى القرية عرسا حقيقيا، غنت الشقيقات وبنات البلد ، وسكر الشبان ، وسهر الكهول والشيوخ سبع ليال بالتمام والكمال ٠٠ وفي ختامها تمت خطبة «العاجز» على اجمل فتيات «المخيم» المجاور للبلدة ٠٠

لم ير احد في الجفون الحمراء ، ولا في اليد البتراء مأخذا ٠٠ كانت عودة المحارب الشجاع من بلاد العجائب كفيلة بتغطية كل البثور والقروح ٠ «اخرجـوا أيهـا التعساء ، اخرجوا من سجنكم٠٠ اتركوني هنا٠ اتركوني في سجني ٠٠ في جنتي !! اخرجوا ٠٠ وستكون عودة السفاحين والقتلة كعودتي ذات يوم مضى ٠٠ انتم ايضا تعيشون في خيال الفتيات واسماع الفتيان وعقول الكهول والشيوخ ٠٠ اخرجوا وسترون انكم سـوف تحظون باستقبال ما حظي بمثله نيكسون من شعب الصين ٠٠ لكنني انصحكم بالا تتزوجوا ٠٠ نعم ٠٠ لا تتزوجوا ، لانكم سوف تحملون صغاركم على اكتافكم ذات يوم ٠٠ ذات طبق قادم ، فارضنـا يا ٠٠ احبتـي حبلى أبـدا بالهزات والبراكين ، لكن لن تراعوا ، فان قتلتم أو أسرتم ، أو ابتلعتكم السيول الطينية الحارقة ، فان صغاركم لن يلبثوا ان يغرقوا بدورهم في سيل الاعانات السخية تتدفق فوق رؤوسهم ٠ نأبد لا يرون اصحابها، لكنهم يرون شعارهم واضحا ينضح بالاذلال قد صبغت بـه الشـاحنـات تفرغ اكـداس المؤن والاغطيـة و ٠٠ الابتسامات ٠٠

وينسى المنكوبون أو يتعلمون أن ينسوا ٠٠

نسيت انا ، ونسي ابنائي ذلك مرتين وثلاثا ، لكن حذار ! ان كل شيء يتطور ٠٠ الاولى والثانية قد اصبح تكرارها عادة ، بل شيئا كالادمان ٠٠ فقدنا الاحساس بحقيقة ما يجري ٠٠ فحذار من الرابعة ٠٠ حذار ان تهدم بيوتكم بأيدي اخوانكم ، انكم حينئذ لن تجدوهم الا وبأيديهم المعاول ليهيلوا عليكم كل ما يستطيعون من تراب حتى لا يزكم نتنكم أنوفهم حـين هم يتسلمـون

(التتمة على ص ٤٩)

(٢) مربى ٠

محمد ابو ريا

صراع امام الملجأ

قصـــــة

الشوارع كئيبة ٠٠ الظلال تستند على الجدران بتثاؤب ٠٠ رياح خمسينية تحيل الشمس الى كتلة باهتة ووراء البيوت تصطلي الحجارة بدفء خانق ٠٠ ما أروع الدفء حين تشعر بالرجفة تصل الى قلبك ٠٠ ما كان احوجني الى معطف ثقيل يقيني هذا البرد ، ولكن كيف سأبدو وأنا أرفل بهذا الشيء الثقيل ، ماذا سيقول الناس عني ، هؤلاء الناس الذين لا يحسون به ، انهم يسيرون بثقة واعتزاز يهزون الارض باقدامهم القوية الصلبة بينما اتوارى أنا في ظلال الازقة باحثا عن قطرة دفء ٠٠ ليقولوا ما يقولون ، انهم يشعرون بالحرارة ، ان أجسادهم شفافة ثقيلة أو كجدار صلب متماسك لا يخرج منه الرصاص ٠ ليتني احتمي وراء أحد هذه الجدران لاتقي هذه الزوابع التي استأنست الى وحشة وجهي وعيوني ٠٠ ليتني أدخل أحد هذه البيوت ربما تكون المدفأة مشتعلة في احداها ٠٠ ولكن ٠٠ هل يستقبلونني ٠٠؟ ربما ٠٠؟ أو ربما ألقوا بي الى الخارج كورقة من هذه الوريقات التي تتطاير مع الزوابع بحركات لولبية ٠

صوت رضيع حاد كصوت ابني الصغير وهو يقطع علي احساسي بدفء أمه واقترابي من النهاية المنتشية ٠٠ الصوت مازال مندفعا وكأنه يخرج من فتحة بوق ضيقة أو من حنجرة رجل يختنق ٠٠ الناس تركض ٠٠ لماذا تركض الناس ٠٠؟ ٠٠ سأركض معهم ٠٠ أنا لا أفهم شيئا ٠٠ ولكن لا يهم ، سأركض ٠٠ ربما اعتبروني أبلها وأنا اقف هكذا كشجرة سرو مهشمة الاغصان ٠٠ نعم أنا لا أفهم شيئا ولكني سأركض ، ربما كان الركض لغاية لذيذة والا لما اتفق الناس عليه ، اذن لماذا أقف أنا وحدي فوق هذا الاسفلت الخانق ٠٠ من الطبيعي أنني سأحس بالدفء ٠٠ هكذا يقولون ٠٠ ها أنا أركض والصافرة اللعينة ما زالت تئز ولكنني لا أشعر بالدفء ٠٠ ان البرودة ما زلت تدخل عميقا عميقا الى جوفي ٠٠ ان قلبي يرقص من البرد أو ربما من الخوف والناس ما زالت تركض ٠٠ انا الاخر الهث ٠٠ ربما أحسوا جميعا بالدفء ٠٠ العرق يتصبب من جباههم العريضة ولكني أنا ألهث فقط وجوفي بارد كقالب الثلج ٠ ها هم يخففون من سرعتهم أمام أحد الابواب ، يتدافعون أمام هذه الفتحة الضيقة ٠ شرطي تبدو على وجهه علامات مبهمة غامضة يحاول تهدئة الناس ، انفعالة تتعلق على فردة شاربه اليمنى ٠٠ ربما كانت ابتسامة أو ربما تكشيره ٠

ـ لا تخافوا ٠٠ ادخلوا من هنا ٠٠ لن تمكثوا طويلا ٠٠ ستخرجون عند اطلاق صفارة الامان ٠٠

صوت تردد بين الناس يخفي صاحبه ملامح وجهه وكأنه يتكلم من وجه جاره ٠

ـ ومتى ستطلق صفارة الامان ٠٠؟

ـ عندما تتوقف الغارة

ـ ومتى تتوقف الغارة ٠٠؟

ـ عندما ينفذ وقود الطائرات ٠

ـ ومتى تظن أن وقودها سينفذ ٠٠؟

ـ ربما بعد دقائق ٠٠ أو ربما بعد قرون ٠٠ او ربما عندما نموت كلنا ٠

وزفر الشرطي بقوة ٠٠ كان يكلم شخصا يسمع صوته ولا يراه ٠

ـ أوه ٠٠ انك تتكلم كثيرا ٠٠ ادخل ودع الناس يدخلون ٠٠ انك تسد الطريق ٠

ـ أنا ابدا ٠٠ أن طريق الملجأ هو المسدود ٠٠ جسدك الضخم هو الذي يسد الطريق ٠

ـ كلا ٠٠ أن وقوفك هنا هو الذي منع الناس من الدخول ٠٠ انك تتكلم بلا توقف بينما الناس تقف وراءك ٠

ـ كلامك معقول ، انا أسد الطريق بثرثرتي وانت تسدها بجسدك الضخم المخيف فما رأيك في أن نفسح الطريق للناس كي نكمل كلامنا ٠

ـ آسف أنا لا استطيع ٠٠ انهم لا يستغنون عني أبدا ٠٠ ان واجبي هو حمايتهم ٠٠ ان وظيفتي تتطلب مني ذلك ٠

ـ ولكن الا ترى انك لا تحميهم ٠٠ انك تقف في وجوههم تمنعهم من الدخول ٠٠ انظر ها هم يتكدسون ورائي كشوالات من الدقيق العفن ينتظرون أزاحة جسدك

العظيم ليتسنى لهم الدخول الى الملجأ والشعور بالامان.

ـ اعترفت بلسانك انهم يقفون وراءك .. اذن لماذا لا تتزحزح وتدعهم يدخلون .

ـ كلا يا صاحبي .. انني اتكلم باسمهم لقد انتدبوني لهذه المهمة .. انا أقف الان كي أفسح لهم الطريق ولكن يبدو لي انك لا تسمع .

وتعالى الصراخ .. الطائرات تحـوم فوق رؤوسـنا كأسراب الزرزور في موسم الهجرة تلقي بسلحها فوق رؤوسنا .. بصاق جامد يحيل الارض الى ما كانت عليه قبل سفر التكوين .. بصاق انتجته جماجم بشرية ليتغذى على نخاع جماجم أخرى .. ربما كان الدور لجمجمتي الان .. وذلك الشخص ذو الخوذة الفولاذية يضغط على زر استحال لونه الى أحمر تناسقا مع ألوان اللوحة التي ابتدأ الفنان الكبير يعمل ريشته المذهبـة فيها .. سيخاطب البصقة .

ـ أترى ذلك الرجل الذي يرتجف هناك .. نعم انه هناك .. انزلي الان وداعبي تلك الشعيرات القليلة فوق رأسه .. لا تنسي أن تحضري منه تذكارا .. شعرة مثلا ، أو قطعة عظم من جمجمته الجميلة .

الصراع ما زال يدور .. الرجـل يتكلم بهـدوء لا يتناسب مع ما ينفثه فمه .

ـ أنك وحش ، مخيف ، قذر لا ترحم .

الشرطي يزمجر .

ـ انك ثرثار مخرف لا يفقه شيئا .

صوت خرج مني او ربما من جارتي الجميلة التي ترتجف في مواجهتي وارى اهتزازات نهديها الصغيرين اللذين لا يثيرانني أبدا .

ـ انتما الاثنان قذران .. انكمـا قذران .. لقـد ابتدأنا نموت .. البصقة ستنزل من فوق على رأسي ، اني أراها وهي تبتسم بوحشية .. انظروا انها تهبط برفق كالملاك .. أفسحوا الطريق .. أفسحوا الطريق .. لقد اتيت سأحطمكما أيها القذران .. لقد ابتدأنا نحوك وما زلتما تتجاولان بعذوبة وكأنكما تتناجيان .. الموت لكما .. تعالوا ايها الناس .. القوا بهما تحت وابل البصاق .. هذه البصقة التي أرسلها ذو الخوذة الفولاذية ساتنازل لكما عنها عن طيبة خاطر .

كان الشرطي يرتجف ويده تمتد الى مسدسه أمـا الرجل الثاني فقد بدا هادئا .

ـ أتسمع الاصوات ، انها تنادي بالموت لنا .

ـ لا ترتجف هكذا .. لن يدخل أحد الى الملجأ ما دمنا نقف في وجوههم .. انهم يموتون قبلنا .. هكذا يقول التاريخ .. نحن الذين خلقناهم ونحن نميتهم .

ـ اذن .. نحن شريكان في المصير .. لقد اعترفت بذلك .

ـ لا يهم .. المهم الان ما يجري في الخارج .. اسمع سأتكلم أنا الان مع الناس واشهر انت مسدسك في وجوههم وسنرى ..

وامتدت الايدي الى المسـدس لتحطمه .. عشـرات الايدي .. بل مئات ، بل ألوف .. أيد سليمة واخرى ضاعت معظم أصابعها .. أيد معروفة مرتجفة واخرى غضه طرية كأصابع الموز ، أيدي هياكل عظمية كانت تستحيل الى رماد وهي تحاول تحطيم المسدس . وامتدت الايدي ، نفس الايدي لتعبث بفم الثرثار ولتخرج لسانه من فمه ولترميه للكلاب الجائعة .

نحن الان داخل الملجأ .. اخيرا أحسست بالدفء والحرارة .. لم اعد بحاجة الى معطف ثقيل .. انني لا أحسد ذوي الاجسام الرياضية فقد بدا العضل ينمو في جميع ذرات جسدي حتـى في رأسي .. لتحتـرق الحجارة بالدفء ، هذا الدفء الذي يطغى على كل شيء .. وجارتي ذات النهدين الصغيرين اللـذين يهتـزان أمامي بنعومة وكأنهما قاربان متجاوران مربوطان بحبل يترنحان تحت تأثير موج هادىء تثيرني الان .. ما أجمل هذه الاثارة .. وانطلقت من جسدي المنتشي بارتخاء صواريخ حمراء وخضراء وصفراء تبعث في مساماته الميته أشعاعات نارية تبث فيه الحياة من جديد .

العـــاجـز ـ تتمـة

اجورهم العالية من أيد لا يبدو انهم سيعدمونها قريبا..

لا .. لا يا سيدي .. ان العد لم يكن دقيقا .. كنت أمزح .. ليس العدد ستة وتسعين .. لقد بقيت عشرات الاطباق .. نعم نعم .. لن اخرج .. لن اخرج قبل ان اتم التهام اطباقي كاملة ، انه حقي ولن افرط فيه ، هل سيحل العجز بميزانية المملكة ؟

سيدي ! مر هذا السجان ان يخرج .. لا تضطرني الى ارغامك على ابقائي .. ان في جيبي قنبلة ، وذي يدي على .. القوس . ليس هـذا من شانـك .. الان على الاقل !! لقد وصلت بطريقة ما ، وسوف تضمن لـي البقاء في ضيافتكم .. الى الابد .. دعني التهم اطباقي كاملة .. واخرج أنت بسلام ... تناول طبقك مـع أطفالك هنيئا مريئا .. الساعة تدق الرابعة .. هل تسمع يا سيدي ؟ هل تسمع يا سعادة المدير ؟!

الضمير المستتر ـ تتمة

ضع نفسك مكاني • ماذا تقول لاهل الضحايا ، ورجال الصحافة الذين يملأون القاعة منذ الصباح •

ـ : اتصرف •

ـ : هاك استقالتي اذا •

ـ : هذا موضوع لا يتعلق بي شخصيا ولست المسؤول عنه ، ولكن لا بد من سحب اوراق الادعاء وكذلك ايقاف الشهود ووضعهم في النظارة ريثما يتم الامر

ـ : وما ذنب الشهود ؟

ـ : الامن يا سيدي وعدم اثارة الشعب خاصة وان رجال الصحافة كما قلت لا يكبرون الا من السنتهم

ـ : وانا

ـ عليك ان تتصرف بما تمليه المصلحة العامة ، وان تتصرف بلباقة

ـ ان هذه مهمة شاقة ، لا اقدر على القيام بها ، فقد فاحت القضية وتناقلتها الرياح • وبات الكذب لا ينفع

ـ لن يكلفك الامر كثيرا ••

ـ بل يكلفني موتي •• موت ضميري •

ـ اذن تصرف

ـ : اني اقدم استقالتي •

المبعوث يتناول التلفون ثم يتصل برئاسته

ـ سيدي ، لقد حصلت على جميع ملفات القضية وقد رفض القاضي تقديم أية مساعدة ، وفضل تقديم استقالته •

الصوت : سنحيل استقالته للموافقة عليها ، عليك البقاء في قاعة المحكمة ريثما تحضر سيارة لاستلامه •

ـ : والقضية

الصوت : دع القاضي يعلن ارجاءها

ـ : انه يرفض يا سيدي ،

القاضي : نعم ارفض ،

المبعوث يستمر في حديثه :

ولكن كيف نستطيع تبرير هذا الارجاء

الصوت: ان هذه مهمة لاتصعب عليك قل أي شيء، قل ان القاضي تغيب ، او ان الشهود قد غيرواشهاداتهم، ونحن بدورنا سنقنعهم بذلك

يغلق المبعوث التلفون ثم يتجه ناحية المنصة ويعلن ارجاء المحكمة •

تفهم الشعر الحديث ـ تتمة

المشاهد • فلا حدود بين العقل وبين العاطفة فيه او بين المنظور بالعين والمحسوس بالقلب • انك تجد الكل في جزئياته وتجد المغزى في كل بيت وكل كلمة • ليس فيه قمة واحدة بل قمما ، لانه يضع بك الثقة لاكمال ما لم يكمله • انه يعطيك شيئا من الواقع ونظرة خاطفة واذا اردت فاكمل بنفسك ما لم يكمله • انه يضع في فمك قطرة دون ان يروي ظمأك ، لان الارتواء الان في العلم وحده اما الشعر فهو «وخزات» للتنبيه وحسب • فاذا كان العلم يجلب الراحة بعد فهمه، فان الشعر يقصيك عن الراحة • العلم هو خاتمة المطاف وهو الحل الاخير ، اما الشعر فانه اول المطاف وبداية التساؤل والتشكك •

لقد كان الشعر فيما مضى كل شيء ، كان قمة العلم والمعرفة • اما الان فقد ترك الشعر تطويق العالم باسره الى النثر والى العلوم التي تعطي المشكلات حقها كاملا ، ولم يعد الشاعر معبرا عن حقيقة موضوعية بتمامها وكمالها بل معبرا عن مروره بها وشعوره بقيامها على الاكثر •

وفي الشعر الحديث ازدادت اهمية الاسلوب وعلت قيمة الكلمة لان الكلمة نفسها اصبحت من غايات هذا الشعر بموسيقاها ومعناها • انها الان تحل محل كلمات كثيرة غير مكتوبة ، لذا فانها تعبر عن الظاهر والباطن ، عن الشعور وما وراء الشعور ، عن العقل الباطن والواعي على السواء • فهي اشبه بالخطوط والالوان التي منحها فن التصوير اهمية اولى بعد ان اهمل المنظر نفسه • ومن هنا فان الجو الشعري في الشعر الحديث اهم من المحتويات التي يضمها • فهو اولي بعد ان كان ثانويا ان الامل الان ليس في تكيف القارىء للشعر الحديث وحسب ، بل في الشعر نفسه حيث يكشف افاقا بعيدة في عالم الشعور والفن ويفتح سبلا جديدة لاعلاء النفس الانسانية فهو نتيجة تعقد الحياة وتلابسها ، والامل وطيد في انه يفلح في العمل ليبعث السعادة والطمأنينة للانسانية ، كما يفلح في استكشاف مواطن ضعفها وبواطن قوتها في فطرته البدائية التي لا يستطيع العلم أن يحل محلها رغم جلاله ورغم كماله •

الثمن لـــيره اسرائيلية